المحاضرة الأولى: جغرافية الجزائر وطوبونيميتها

أولا- جغرافية القطر الجزائري:

1- موقع الجزائر: تقع الجزائر في الجزء الشمالي الغربي من القارة الإفريقية ما بين دائرتي عرض 19° و37° شمال خط الاستواء، و ما بين خطي طول 12° شرقا و 9° غربا يحدها شمالا البحر الأبيض المتوسط أما شرقا فتحدها كل من تونس و ليبيا، أما غربا فتحدها مملكة المغرب و الجمهورية العربية الصحراوية، أما جنوبا فيحدها كل من النيجر و مالي و موريطانيا، وتقدر المساحة الاجمالية للجزائر بحوالي 2,381,741 كلم^2، وهي بذلك أكبر بلد في إفريقيا ، ويبلغ امتدادها الشمالي الجنوبي 1900 كلم، أما امتدادها من الشرق إلى الغرب فيقدر ب 1800 كلم، كما تطل الجزائر على شريط ساحلي يتجاوز طوله 1600 كلم ويتفرع إلى العديد من الرؤوس والخلجان.

ويبلغ طول حدود الدولة الجزائرية مع الدول المجاورة لها:

- مع ليبيا 982 كلم
- مع مالي 1376 كلم
- مع موريتانيا 463 كلم
- مع المغرب 1559كلم
- مع النيجر 956 كلم
- مع تونس 965 كلم
- مع الصحراء الغربية 42 كلم

2 - إبراز أهمية الموقع الجغرافي للجزائر:

- الامتداد من العروض الحارة إلى العروض المعتدلة مما أسهم في تنوع المناخ
- يمر مدار السرطان جنوب الجزائر و خط غرينتش غربها
- محور اتصال بين الجهتين الشرقية و الغربية للمغرب العربي، حيث تمثل الجزائر قلب المغرب العربي الكبير، ومركزه الاقتصادي والبشري، وكذلك الممر الطبيعي بينه وبين الشرق الأوسط وإفريقيا.
- تمثل الجزائر جسرا طبيعيا إلى العالم العربي والإسلامي
- تشرف الجزائر على واجهة بحرية إستراتيجية هي المتوسط جعلت منها محور تبادل وتعاون مع أوربا و همزة وصل بين القارتين إفريقيا و أوربا و بوابة إفريقيا الشمالية
- إنها تتوسط العالم القديم (إفريقيا أوروبا آسيا) فهي ملتقى الطرق التجارية البرية البحرية

3- الجزائر طبيعيا:

يتميز سطح الجزائر بنطاقين طبيعيين متميزين ومختلفين من حيث الملامح التضاريسية والتركيب الجيولوجي، والمناخ والانتشار السكاني، والتمركز الاقتصادي :

أ- النطاق الشمالي: ومساحته تقدر بحوالي 400 ألف كلم^2 أي ما يمثل نسبة 20% من المساحة الإجمالية للوطن، ويغلب عليه الطابع الجبلي، في سلسلتين متوازيتين، الأطلس التلي والأطلس الصحراوي، حيث تنحصر بينهما هضبة واسعة، هذه المرتفعات حديثة النشأة وهي غير مستقرة في تركيبتها الجيولوجية، حيث تعود إلى

الزمنين الجيولوجيين الأول والثاني، مناخها متوسطي كما تتميز بكثافة الغطاء النباتي، وتنتشر فيها الزراعة على نطاق واسع، ويرتكز بهذا النطاق 90% من إجمالي سكان الجزائر، بكثافة متوسطة تقد ب 40 نسمة في كلم^2، وتنتشر فيه أهم القرى والمدن والمناطق الصناعية وشبكات البنية التحتية.

ب- النطاق الجنوبي: وتقدر مساحته بحوالي 2 مليون كلم^2، أي ما يمثل 80% من المساحة الإجمالية، وهو عبارة عن قاعدة صحراوية قديمة، تعود إلى ماقبل العصر الكمبري، ويمتاز يتضاريسه المستقرة، ومناخه الجاف وغطائه النباتي المحدود، والاستقرار السكاني حول الواحات ومناطق استغلال البيترول والغاز بكثافة سكانية تقدر ب 1 نسمة في كلم^2، ويحتوي هذا النطاق على أهم الثروات الباطنية في الجزائر. بترول، غاز طبيعي، حديد، فوسفات، رصاص، زنك، زئبق، يورانيوم.

4- التقسيم التضاريسي للجزائر:

أ – منطقة الساحل:

تتميز بسهولها الساحلية الضيقة وانحصارها بين الأطلسي التلي و البحر الأبيض المتوسط .حيث لا يزيد طول سهولها عن 150كم وعرضها عن 30كم بارتفاع أقصى عن سطح البحر بـ 100م، كما تتميز بخصوبتها وتعدد المجاري المائية بها، أشهرها سهول متيجة و عنابة ووهران، ويتراوح ارتفاع السهول الداخلية عن سطح البحر ما بين 500م و800م أشهرها سهول تلمسان وسيدي بلعباس ومعسكر وسطيف، كما تطل هذه على ب- سلسلة الاطلس التلي: وهي السلة الفاصلة بين منطقة الساحل ومنطقة الهاضاب العليا الداخلية، التي تتميز بقمم حادة ويتراوح ارتفاعها ما بين 1000م و2000م أعلاها قمة لالا خديجة بجبال جرجرة بارتفاع 2308م، تمتد هذه السلسلة من جبال سوق أهراس شرقا إلى جبال تلمسان غربا، وتشكل حاجزا طبيعيا لتأثيرات البحر الأبيض المتوسط على باقي البلاد.

ج- الهضاب العليا:

وتمتد على شكل حزام عرضي من الأراضي يتوسط سلسلتي الأطلس التلي والأطلس الصحراوي، يتراوح علوها ما بين 900 و1000م، وهي أكثر ارتفاع في الشرق، حيث تأخذ أحيانا الطابع الجبلي، وبها العديد من المنخفضات، أهمها سطيف وعين البيضاء وتبسة، والاحواض المغلقة ذات التصريف الداخلي، حيث تنتشر السبخات والشطوط وأهمها الشط الشرقي وشط الحضنة، وتشكل جبال الحضنة الحد الفاصل بين الهضاب الشرقية والهضاب الغربية، يشكل هذا الإقليم أحد أهم مناطق زراعة الحبوب في الجزائر منذ القدم

د- سلسلة الأطلس الصحراوي : وهو عبارة عن منظومة جبلية طولها 700 كلم، تمتد من جبال النمامشة وتبسة شرقا إلى جبال القصور في الجنوب الغربي للبلاد. يتراوح ارتفاع قممها ما بين 1200م و 2000م وتعتبر قمة شيليا بجبال الأوراس أعلاها بارتفاع 2328م. تشكل هذه السلسلة حاجزا مضاعفا لإيقاف تأثيرات الصحراء جنوبا، وتتخللها خوانق ودروب وتسلكها الأودية المنحدرة نحو الصحراء وأهم تشكيلاتها جبال القصور وبها قمة سيدي عيسى 2238م، وجبال عمور، وأولادنايل، والحضنة وجبال الأوراس.

هـ- الصحراء: وهي إقليم شاسع أغلب تكويناته من الصخور القديمة بركانية تمتاز بالرتابة والانبساط وأهم التشكيلات التضاريسية للصحراء هي:

- نطاق المنخفضات: في الشمال الشرقي، حيث منخفض ملغيغ (32م) تحت مستوى سطح البحر، وتنتشر فيه اهم واحات الجزائر في وادي ريغ ووادي سوف والزيبان.

- نطاق الهضاب الصخرية: ويحتل مناطق وسط الصحراء أهمها هضبة تادمايت 836 متر فوق سطح البحر وحمادة تينهرت قرب الحدود الليبية وحمادة الذراع غرب تندوف، هذا النطاق تكويناته صلبة تغطيها الصخور جيرية رملية على شكا صفائح طبقية تسمى الحمادة.

- نطاق المرتفعات في الجنوب الغربي للصحراء: يتمركز في منطقة التاسيلي ناجر وأغلب تكويناته الجبلية ناتجة عن اضطرابات بركانية لغا تزال فواهاتها بارزة وهي شاهقة الارتفاع، ويعق بها واد جرات الذي يمثل معلما أثريا عالميا بمنطقة التاسيلي حيث الرسوم الأثرية القديمة، وتتربع منطقة الهقار على مساحة شاسعة تقدر بنصف مليون كيلو متر مربع مكونة من صخور بركانية وأعلى قمة بها في كتلة أتاكور شمال تامنراست وهي قمة تاهات 2918 م وهي أعلى ارتفاع في الجزائر.

_ نطاق الرمال: وهو عبارة عن سهول رملية شاسعة تشمل الجزء الاكبر من الصحراء ، وأهم أشكالها: الرق: وهو سهل صخري يغطيه الحصى، أو أحواض ملأتها السيول الجارفة بالرواسب الصخرية، وهي صالحة للحركة حيث تشكل مسارات العديد من الطرق الصحراوية. – العرق وهو سطح واسع الأطراف وتغطيه الكثبان الرملية يتراوح ارتفاعها مابين 260 و500م، وتنتشر بكثافة في الجنوب الشرقي حيث العرق الشرقي الممتد من الحدود التونسية حتى منخفظ تادمايت والمنيعة، كما نجد في الغرب العرق الغربي الممتد مابين بني عباس والمنيعة وعرق الشاش وإيقدي.

ثانيا- طبونيمية الجزائر

مفهوم الطوبونيميا(Toponymie) : هي كلمة مشتقة من الإغريقية ومتكونة من Tépos :التي تعني "مكان"، و énoma بمعنى "إسم " وبالتالي تصبح ترجمة هذا المصطلح "إسم المكان". وتتعددت الترجمات التي قامت بنقل هذا المصطلح إلى اللغة العربية، بين من اكتفى بجعله "علم الطوبونيميا"، ومن ارتأى ترجمة المعنى ليصبح: "علم أسماء المعالم الجغرافية". وتهتم بهذا العلم عدة علوم رافدة أو مساعدة من ابرزها علم الدراسات اللسانية والتاريخية، بالإضافة أيضا إلى علوم الأركيولوجيا، والجغرافيا، ومن هنا فإن أسماء المعالم الجغرافية ليست مجرد أسماء دون معنى، ولكن تحمل في طياتها معاني دالة وعلى سبيل المثال:

- التراث التاريخي والثقافي الذي يميز المنطقة والذي يمتد أحيانا لآلاف السنين.

- أسماء الأماكن التي تحتوي في طياتها على جملة من المعاني التي تصف المكان، أو تذكر أهم مميزاته (الجغرافية، الطبيعية، البشرية).

- ويمكن أن تؤرخ أسماء الأماكن كذلك لأحداث تاريخية احتضتنها المنطقة.

وأهم عنصر في التسمية هو توافق الناس وتداولهم لها. وقد يحدث تغيير لاسم المعلم الجغرافي نتيجة للهجرات البشرية وتغير الثقافات واللغات وتنقسم الطوبونيميا إلى قسمين أساسيين:

1- **الماكرو طوبونيميا:** وهي التي تركز أساسا على دراسة المجالات الجغرافية الواسعة وتشمل (أسماء التضاريس، أسماء المسطحات والمجاري المائية، أسماء الطرق والمسالك).

2- الميكرو طوبونيميا: وتتعلق بأسماء الأماكن المحدودة المساحة، على غرار أسماء التجمعات السكانية الصغيرة، أسماء الحقول، أسماء القطع الأرضية ...

مبدأ تسمية المعالم الجغرافية في الجزائر:

تتنوع وتتعدد مبادئ تسميات المعالم الجغرافية في الجزائر، ومن ذلك نجد ما تعلق بالصفات أو المميزات الجغرافية للمكان، أسباب دينية (إله، نبي، قديس، شيخ، صحابي، ...)، أو نسبة إلى أشخاص أو عشائر أو قبائل أو شعوب، نسبة إلى أحداث، وأخيرا نسبة إلى حيوانات أو نباتات.

ومن أمثلة عن هذه الأسماء :

- تضاريس: جبل عنتر (بشار)، إيغيل علي (تسمية أمازيغية، بمعنى مرتفع عال، تقع في ولاية بجاية)
- مناخ: نسبة إلى الحرارة المرتفعة، البرودة : مثلا غليزان التي تعني الهضبة عالية الحرارة (إغيل إزان)
-جهة: الزاوية الفوقانية، والزاوية التحتانية (أماكن موجودة في تاغيت، ولاية بشار).
- لون الأرض: مثلا جبل لحمر وجبل لزرق في ولاية بشار، عين الحمرا في سطيف .
-طبيعة الأرض: مثلا أزاغار، وهي تسمية موجودة بكثرة في تيزي وزو، التي تعني الأرض المستوية الصالحة للزراعة.
-ثروة معدنية: منطقة واد الفضة في ولاية الشلف، عين الذهب في تيارت، عين النحاس في قسنطينة.
- مياه: وفرة أشكال معينة من المجاري أو مسطحات مائية: واد السمار بالجزائر العاصمة، بير غبالو في ولاية البويرة، تامدا أوجلميم (بركة في جبال جرجرة)، عين عسل في الطارف.
- وجود نوع حيواني في المنطقة: فيض النعام ومنطقة قصر الطير في سطيف، واد الناموس (النعامة وبشار)، سور الغزلان بالبويرة.
- نسبة إلى فصيلة نباتية: واد الرتم في بشار، عين الديسة في ولاية سطيف .

من خلال هذه الأسماء التي تم عرضها من مختلف جهات الجزائر، يظهر حجم التنوع اللغوي والثراء الثقافي في الجزائر، هذا التعدد والتجانس تقدمه لنا الطوبونيميا بشكل واضح، أين يتبين التعايش الموجود بين مختلف اللغات والثقافات، والتي تظهر في أسماء المعالم الجغرافية.

أهمية علم الطوبو نيميا:

- الحفاظ على الشخصية الثقافية للمجموعة البشرية التي تقطن مجالا جغرافيا معينا.
- علاقة الطوبونيميا الوطيدة بالوثائق الشخصية للأفراد (جواز السفر، بطاقة التعريف، رخصة القيادة)، حيث يظهر في بياناتها مكان الولادة، مكان الإقامة، مكان الدراسة، مكان إصدار الوثيقة....
- تعتبر ركنا أساسيا في رسم الخرائط ورسم الحدود الجغرافية، وتحديد وضبط المواقع المعلمية، الطبيعية، الاقتصادية، البشرية...
- تعتبر الطوبو نيميا ركنا أساسيا في فهم بعض الحلاقات المفقودة في التاريخ، فلا يمكن تصور تاريخ بدون مكان.
- يعتبر الإلمام بطبونيمية المواقع عاملا مهما في المعرفة الجيدة للأرض، ومختلف الطرق والمسالك، وأماكن تواجد المياه، والأماكن المفتوحة والمحصورة بين الجبال والهضاب ...، والأهمية الاستراتيجية والاقتصادية التي تميز كل منطقة.

المحاضرة 02: حضارات الجزائر في ما قبل التاريخ

أولا- تعريف علم ما قبل التاريخ: هو ذلك العلم الذي يبحث في أصل وتطور حضارات الإنسان قبل معرفته للكتابة، وتتمثل مخلفاته الحضارية في بقايا مادية أثرية، كالأدوات الحجرية والعظمية ورسومات ونقوش جدارية، ودراسة هذه المخلفات من شأنها أن تسمح لنا بإعادة تصوير وتصميم الحياة اليومية لمجتمعات ما قبل التاريخ في بيئة وزمن معينين، ويتفق أغلب العلماء الباحثين في هذا المجال أن آثار إنسان ما قبل التاريخ أكثر إفصاحا من التاريخ المكتوب لأنها لا تتعرض للتزييف والتحريف المتعمد.

ولقد ظهر مصطلح ما قبل التاريخ لأول مرة باللغة الفرنسية (préhistoire) سنة 1833 حين استخدمها تورنال (M. Tournal) أمين متحف ناربون في مقال نشره في مجلة (de chimie et Annales de physique)، وظهر هذا المصطلح في اللغة الأنجليز(Prehistoric) ، سنة 1851 من طرف دانيال ولسون (D. Wilson في كتابه المعنون بـ (the archeology and prehistoric annales of Scotland) ولا ندري متى ظهرت العبارة العربية لأول مرة، غير أنها ترجمة موفقة إلى حد بعيد، ويتردد هذا المصطلح في الأدبيات الأثرية دون خلاف على مدلولها . وقد نشأ علم ما قبل التاريخ في أوربا وبالأخص في فرنسا، وهذا ما يفسر أن كل أو جل مصطلحات هذا العلم تحمل أسماء فرنسية، مثل الحضارة الأشولية نسبة إلى موقع سانت أشول(Saint Acheul) ، والحضارة الموستيرية نسبة لموقع موستييه (Le Moustiers)والحضارة الأنفيلية نسبة لمنطقة أبفيل (Abbeville) شمال باريس.

ثانيا- الجزائر في عصورما قبل التاريخ:

اجتازت الجزائر ككل بلدان العالم أطوار وعهود ما قبل التاريخ إلى أن وصلت إلى الفترة المعاصرة. فمرت بالعصر الحجري القديم (الباليوليتي): والذي بدأ مع ظهور الإنسان على سطح الأرض، واستمر حتى العام 10000قبل الميلاد، وكان الإنسان في هذا العصر يقتات من الإلتقاط عبر التنقل من مكان لآخر، والعيش على الصيد، ويصنع أدواته من العظام والحجارة، وفي هذا العصر تعلم البشر إشعال النار،ثم العصر الحجري الأوسط (الميزوليتي) ويبدأ من العام 10000حتى العام 4000 قبل الميلاد، وفيه استقر الإنسان حيث دجن الحيوانات وعمل

في الزراعة وقد استعمل الإنسان أدوات من الحجر المصقول وقد ظهرت في خلال هذه الفترة صناعات عمل الخزف والنجارة والنسيج وظهرت كذلك الحيوانات المستأنسة.

وأخيراً العصر الحجري الحديث(النيو ليتي) وهو العصر الذي بدأ بعد العام 4000قبل الميلاد، وفيه تعرف الإنسان على المعادن وطرق صهرها، أقدم أداة حديدية مشكلة بالطرق هي الخنجر صنع قبل سنة 1350قبل الميلاد.

ثالثا- الخصائص الطبيعية والبشرية في الجزائر خلال العصر الحجري القديم (الباليوليتي):

عرفت الجزائر انتشارا واسعا للمناخ الحار الرطب في أغلب مراحل العصر الحجري القديم، وكان المناخ السائد في الصحراء الجزائرية شبيها بمناخ البحر المتوسط في الحاضر، في حين كانت أوربا مكسوة بالجليد، كما أن اللوحات التي نراها اليوم في الصحراء الجزائرية الكبرى كانت موقعا لبحيرات ومجاري مائية، كما عرفت تنوعا نباتيا وحيوانيا كبيرا، أما الحيوانات الاكثر انتشارا فكان الفيل، وفرس النهر، ووحيد القرن والبقريات والزرافات والنعام.

وتشير وقد عثر على البقايا العظمية للإنسان في أرضية الكهوف الطبيعية التي سكنها لأول مرة، حيث وجدت بقايا عظام الإنسان مختلطة بالرماد ضمن طبقات أرضية الكهوف التي تراكمت فوق بعضها، ومثال ذلك (كهف الصخرة الكبيرة) بالعاصمة، وكهوف إيقاد بالقرب من بجاية.

رابعا- موقع عين حنش، أقدم موقع للتجمع البشري في شمال إفريقيا:

ويعد موقع عين الحنش من أقدم وأهم مواقع فترة ما قبل التاريخ في شمال إفريقيا، تم اكتشافه من طرف الباحث الفرنسي (Camille Arambourg) خلال بحوثه الباليونتولوجية التي خصت الترسبات القارية لمنطقة العلمة والتي بدأها سنة 1931، وقد أجرى هذا الباحث دراسته على الضفة اليسرى لوادي عين بوشريط، والتابع لبلدية القلتة الزرقاء، أين عثر فيه على أدوات حجرية لا تعد ولا تحصى، وعلى عدد هام من بقايا عظام الحيوانات المنقرضة التي اصطادها الإنسان ليستهلكها ويستخدم عظامها كأدوات يزيد عمرها عن 2.8 مليون سنة.

متمثلة في حصى مشذبة: حصى متعددة الصفحات وقد استخلص منها ما يلي :

1- موقع عين الحنش أقدم موقع معروف بشمال إفريقيا يؤرخ بحوالي 2.8 م.س، وهو دليل على انتشار أقدم للإنسان في المنطقة

2- يعتبر المواقع في إطاره الأصلي ولم يتعرض لخلل كبير أو لإعادة ترتيب، فهو إذا صالح لدراسة السلوك والتعمير البشري لهذه المرحلة.

3- البقايا الحيوانية التي تم العثور عليها أثناء الحفرية قد تكون جزء من تغذية إنسان عين الحنش، والأدوات الحجرية استعملت في استغلال جثث الحيوانات وفي نشاط إقتناء اللحم. ومن أهم البقايا العظمية التي عثر عليها عظام تنتمي لوسط السافانا تعود لخيليات وبقريات صغيرة وكبيرة وخنازير ووحيدات القرن وفراس النهر والفيلة والحصان النوميدي."

خامسا- الحضارة العاترية: تنسب هذه الحضارة إلى موقعها النموذجي في بئر العاتر بالقرب من مدينة تبسة والذي تم اكتشافه سنة 1922، وتعود إلى المرحلة الزمنية الممتدة ما بين (45000 و20000 سنة ق م) ومن أهم أدوات الصناعة العاترية المكاشط ورؤوس السهام والسكاكين وتمتد الحضارة العاترية من المحيط الأطلسي غربا إلى وادي النيل شرقان كما تمتد جنوبا حتى السودان وصحراء النيجر، كما استعمل الانسان العاتري بعض المواد الزينة الملونة كالقواقع.

سادسا - الحضارة القفصية: تعتبر أحد الحضارات التي تميزت بها منطقة شمال إفريقيا خلال العصر الحجري المتأخر، وتنسب إلى موقعها النموذجي في قفصة جنوب غرب تونس وتم اكتشافها سنة 1909، وتنتشر في أغلب مناطق الشرق الجزائري خاصة المنطقة الممتدة ما بين تبسة وقسنطينة، وعمرت هذه الحضارة خلال المرحلة الزمنية الممتدة ما بين 8000 و5000 سنة قبل الميلاد.

تعرف المنطقة القفصية بالعديد من "الرماديات"، والمسمات بالحلزونيات في السهول القسنطينية، وهي عبارة عن كثيبات تصل إلى علو عشرة أمتار وإلى امتداد يتراوح ما بين 100 و150 متر مكونة من تراكم الرماد والأدوات وعظام الأموات وقواقع الحلزونيات، وبقيا بيض النعام، وأدوات مصقولة، وهي تمثل في العموم بقايا التجمعات البشرية القديمة، وقد مارس إنسان العصر الحجري الحديث النيو ليتي الصقل والنحت وصناعة رؤوس السهام وصناعة الفخار والزراعة وتربية الحيوانات.

سابعا: الحضارة الوهرانية (الإبيرو مغربية):

.يعود الفضل في اكتشاف هذه الصناعة الميكروليتية ذات الظهر المصفح الى بول بلاري (P.Pallary) سنة 1919م بموقع المويلح قرب مدينة مغنية بالغرب الجزائري، وتعود تسميتها بالإبيرومغربية إلى اعتقاد هذا الباحث بوجود علاقات بشرية بين الضفة الجنوبية للبحر الأبيض المتوسط وتحديدا المنطقة الجغرافية لوهران وشبه الجزيرة الإبيرية في هذه الفترة، مما رجح قدوم هذه الصناعة من شبه الجزيرة الإبيرية، غير أنه اتضح فيما بعد أن هذه الحضارة هي محلية الصنع ولا علاقة لها إطلاقا بشبه جزيرة إبيريا، كما أن دراسات الباحث الفرنسي فوفري وتحرياته التي قام بها في عدة مواقع بالجزائر جعلته يفضل تسميتها بالحضارة الوهرانية نسبة إلى الإقليم الجغرافي الذي اكتشفت فيه، إلا أن هناك من الباحثين من يرى في استعمال هذا المصطلح نوع من التقزيم لهذه الحضارة، وتقييد لمجالها الجغرافي الذي اتضح في ما بعد أنه امتد على طول الساحل الجنوبي للبحر الأبيض المتوسط من خليج قابس بتونس الى شواطئ المحيط الأطلسي. ورغم عدم دقة التسمية الأولى المتمثلة في مصطلح الإبيرومغربية إلا أن تداولها بين الباحثين في البدايات الأولى لاكتشافها جعلها تنتشر بسرعة وتطغى على الوهرانية، فدرج الباحثون على استعمالها مما أدى إلى ترسخها أكثر في الأوساط العلمية وتعود إلى حوالي 5000 سنة قبل الميلاد.

وتتميز الصناعة الابيرومغربية بكثرة الشفرات الصغيرة المهذبة الحافة بواسطة التنقيحات القوية، وبدون شك فهي عبارة عن تقنية عامة طبقت في الادوات ذات الاستعمالات المختلفة، كما يغلب على هذه الأدوات الميكروليتية الطابع الهندسي، وغلبة النصال الصغيرة إلى جانب بعض الأدوات الكبيرة التي غالبا ما ترافقها، كما يسجل حضور صناعة النواة الحجرية الصغيرة ذات النماذج المختلفة والتي طبقت عليها نفس التقنية الصناعية. وتعد صناعة العظام أكثر تنوعا في الحضارة الإبيرومغربية من الأدوات الحجرية فقد صنع هؤلاء الأقوام من البشر الذين ينسبون الى نوع إنسان مشتى العربي من العظام السكاكين، والمحكات، والدبابيس، والخطافات، والرماح. ويعد السكين الشيء الأكثر تميزا في هذه الادوات فهو متطاول الشكل ومسطح، له حافة مستقيمة، وقاعدة مستديرة. هذا بالإضافة إلى الإبر العظمية البسيطة، وعدد كبير من أدوات الزينة تمثلت في القواقع التي تزينها في الغالب مواد معدنية ملونة.

المحاضرة الثالثة: الممالك البربرية في الجزائر.

أ- أصل تمسية البربر:

اختلفت الروايات التاريخية أصل تسمية البربر وكان أول استخدامها في العصور القديمة، هم الإغريق والرومان والبيزنطيون في إشارة إلى القبائل المختلفة التي سكنت «ليبيا الكبرى» (أي المنطقة التي تسمى الآن شمال إفريقا، ويأتي مصطلح البربر في الأصل من اليونانية "باربا روس" الذي يعني في اللغة اليونانية القديمة غير الناطقين باليونانيةأو الشعوب غير اليونانية.

ب- أصل تسمية الأمازيغ:

أمازيغ في اللغة الأمازيغية مفرد، جمعه "إيمازيغن" وهو الاسم الذي يسمي به الأمازيغ أنفسهم منذ القدم وعرفهم به أقدم المؤرخين ويعني السادة الأحرار الذين لا يحتملون الخضوع لسلطان ولا يرضخون للقوة.

ج- الممالك الأمازيغية:

أشارت المصادر التاريخية المكتوبة إلى أن وجود الممالك الأمازيغية في شمال إفريقيا يعود إلى ما قبل القرن الثالث قبل الميلاد، ومنها ما كتبه يوستينيوس (**Justinius**) **في** روايته عن تأسيس مدينة **قرطاجة**، **حيث** تحدث عن الملك **البربري حرباص** (Hiarbas) في أواخر القرن التاسع ق.م، كما وجد الوافدون (الفينيقيون) أنفسهم أمام سلطة سياسية قائمة في شمال إفريقيا، وليس عبارة عن جماعات من الرحل و البدو التي يسهل دحرها والقضاء عليها باستعمال القليل من القوة. إلى جانب الملك حرباص أشار يوستينيوس إلي ملك في القرن الرابع ق.م استنجد به الملك **حنون** القرطاجي (Hannon) للاستيلاء على السلطة في قرطاجة، **ويذكر ديودور الصقلي** (Diodore de Sicile) ملكا يدعى **أيلماس** تحالف مع **أغاتوكليس** أثناء زحف هذا الأخير على قرطاجة أواخر القرن الرابع ق.م، وذكر **بوليبوس** الذي انفرد في نقل أحداث حرب **المرتزقة** أسماء لأمراء ليبيين شاركوا في هذه الحرب الداخلية التي هزت الكيان القرطاجي، وكان **نار افاس** هذا الأمير الليبي خير مساعد لقرطاجة في محنتها، بينما تحالف القائد **زارزاس** (Zarzas) الذي ينتمي الى فرع معادي لنرافاس مع خصوم قرطاجة.

وهي كلها إشارات تدل رغم اقتضابها على وجود هيكلة سياسية تمثلت في هذه الممالك التي تطورت عنها ممالك القرن الثالث قبل الميلادي، ويجمع المؤرخون القدماء منهم والمحدثون على أن **نوميديا** كانت تشتمل على تكتلات قبلية أشهرها قبائل الماسيسيل و الماسيل التي ستنتظم في شكل ممالك في إحدى فترات فجر التاريخ، والتي تحدثت النصوص الإغريقية واللاتينية عنها خلال الحرب البونيقية الثانية، هذه الحرب التي تسجل دخول بلاد المغرب القديم في التاريخ.

أما عن نشأة الممالك النوميدية أي مملكة نوميديا الشرقية التي تعرف أيضا باسم المملكة الماسيلية ومملكة نوميديا الغربية التي تعرف بالمملكة الماسيسيلية، فقد نشأتا نتيجة لعنصرين وهما: بروز قبائل قوية تمسك زمام

الأمور وتفرض نفسها على البقية القبائل، بالإضافة إلى تأثير الجوار القرطاجي، وقد جرى توحيد هاتين المملكتين على يد الملك ماسينيسا انطلاقا من سنة 203 ق.م، بعد انتصاره على سيفاكس ملك نوميديا الغربية، في مملكة واحدة تعرف بالمملكة النوميدية الموحدة.

د- المملكة الماسيلية (نوميديا الشرقية)

1- امتدادها الجغرافي:

كانت المملكة الماسيلية التي تعرف ايضا بالمملكة النوميدية الشرقية وهي أقل مساحة وتشمل القسم الشرقي من قسنطينة، ويمكن القول أنها كانت ممتدة من الحدود القرطاجية شرقا الى الوادي الكبير غربا وهي بذلك تشمل منطقة الاوراس و الشرق القسنطيني، والظهر التونسية و الجزء الأكبر من الأراضي المحاذية لسرت الصغرى، عرفت هذه المملكة أقصى توسعاتها في عهد ماسينيسا الذي ربط مصيره بشيبيون والإمبراطورية الرومانية، وأصبح سيد المنطقة الممتدة من موريطانيا إلى المقاطعة البونية من **ملوية** إلى **توسكا** بالقرب من **طبرقة**.

2- أصولها:

تعود اصول المملكة الماسيلية إلى قبلية الماسيل، هذه القبيلة التي ظهرت كمملكة قوية في القرن الثالث قبل الميلاد بدليل مشاركتها في صنع أحداث نهاية القرن الثالث قبل الميلادى، وقد جاء ذكر الماسيل لأول مرة خلال الحرب البونيقية الأولى، أما فيما يخص مهد المملكة المرتبط بالموطن الأصلي للعائلة الماسيلية فقد حدد من أقصى غرب المملكة أي في منطقة جنوب **سيرتا** وبالضبط في منطقة جبل فرطاس الواقعة **جنوب سيقوس** وجنوب غرب **تيفست والتي** شهدت تعميرا كبيرا بدليل كثرة المعالم **الميقاليتية** كما عثر في هذه المنطقة على نصب كبيرة الحجم تجسد الزعماء المحليين.

أما عن تسمية المملكة، فلا شك أن الماسيل إسم محلي واختلفت صيغ المؤلفين القدامى لهذا الاسم إذ نجده عند المؤلفين الاغريق بصيغة الماسول خلافا للمؤلفين اللاتيين الذين اعتمدوا صيغة الماسيل أما في النقوش استعمل لقب الماسيل، الذي وقع الاحتفاظ عليه في عهد الملك ماسينيسا ومن خلفه على الملك من ذريته، أما في العهد الروماني احتفظ بهذه التسمية في اقليم سيرتا وتحديدا بين هذه المدينة و الأوراس حيث عثر على إسم ماسول على شاهد قبر في منطقة سيلة.

3- ظهورها:

من المعروف ان المملكة الماسيلية كان لها وجود على امتداد أجيال قبل ماسينيسا، لأن هذا الأخير تلقى من الرومان حق المطالبة بالأراضي التي كانت تابعة لأسلافه، و يرى المؤرخ الفرنسي كامبس أن العائلة الماسيلية تعود إلى ثلاثة أجيال سابقة على الأقل، وبالرغم من هذا الامتداد التاريخي العريق، فقد تجلت المعالم الحضارية

والسياسية لمملكة نوميديا الشرقية بشكل أكثر وضوح منذ القرن الثالث ق.م من خلال الحروب البونية، كان لها دورا حاسما على المسرح السياسي الافريقى من خلال إنهاء الوجود القرطاجي سنة 146 ق م.

هـ – المملكة الماسسيلية (نوميديا الغربية)

1 امتدادها الجغرافي:

تعتبر حدود مملكة نوميديا الغربية أو المملكة الماسيسيلية أكثر وضوحا من سابقتها، حيث تمتد من وادي ملوية غربا وتنتهي عند كاب تريتون (رأس ذو القرن أو رأس بوقارون في سكيكدة حاليا) شرقا، وتميزت الحدود الشرقية عموما بعدم الاستقرار، فكانت تتقدم وتتقلص حسب الظروف السياسية، أما الحدود الجنوبية للمملكة فقد امتدت حتى تخوم جيتوليا ، كمنطقة **مداروش** التي كانت ملكا للماسسيسيليين، وكان الجيتول يقطنون أراضي شاسعة ولا يخضعون للسلطة الملكية المركزية، و بهذا تكون قد شملت أراضي شاسعة، وغطت ثلثي من مساحة الجزائر الحالية إضافة إلى جزء من المغرب الشرقي، حيث توجد هناك نصوص ونقوش تذكرهم حتى في الريف المغربي، حيث ظهر سيفاكس خلال الحرب البونيقية الثانية وبالتحديد في سنة 213 ق.م كسيد له أتباعه في منطقة مضيق جبل طارق .

كما وجدت عدة كتابات كلاسيكية تربط **طنجة** بالماسيسيليين، كانت المملكة الماسيسيلية شاسعة للغاية إلى درجة أن كانت لها عاصمتان **سيقا** (بالقرب من عين تموشنت) بالنسبة لماسيسيل الغرب، وسيرتا بالنسبة لماسيسيل الشرق، كانت سيقا (Siga) المدينة الماسيسيلية الرئيسية وقد أشير إليها دائما على أنها عاصمة سيفاكس وفيها استقبل سنة 206 ق.م شيبيون وصدربعل وفيها سك عملته، وتعتبر نواة قوة الماسيسيل وهي تقع في المناطق الغربية في الإقليم الوهراني.

2ظهورها :

تفيدنا النصوص الكلاسيكية بأن مملكة الماسيسيليين نسبة إلي قبائل الماسيسيل ظهرة كقوة في إفريقيا منذ أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الثاني ق.م، حيث دخلة في حسابات الحرب البونيقية الثانية، وكان على عرشها آنذاك الملك سيفاكس ذو الاعتبار الكبير و الذي كان التحالف معه مرغوب من الأطراف المتنازعة في هذه الحرب (القرطاجيين والرومان) وهو ما أدركه بدوره وعرض تحكيمه على الطرفين. يعتبر سيفاكس أول ملك ماسيسيلي الذي عرف لدينا منذ سنة 220 ق.م، وكانت مملكته أقوى الممالك الإفريقية، إلى درجة أن سالوستيوس وصفها بالإمبراطورية الواسعة و القوية، وبعد اسر سيفاكس احتفظ ابنه **فرمينا** بجزء من المملكة واتبع سياسة والده بتحالفه مع القرطاجيين، وبعد هزيمة **حنيبعل** غير فرمينا من سياسته و حاول التقرب من الرومان بالطريقة التي تقرب بها **ماسينيسا**، فأرسل في عام 200ق.م وفدا الى **مجلس الشيوخ الروماني** للاعتذار عن عدائه للرومان ومواجهتهم في **زاما** ، طالبا محالفة وصداقة الشعب الروماني.

و- العلاقات بين المملكتين النوميديتين:

لم تكن العلاقات بين الجارتين النوميديتين ودية ويتجلى ذلك في الخلافات التي نشبت بين الدولتين خاصة في عهدي ماسينيسا وسيفاكس، والأمر المؤكد أن سياسة الاستقطاب الناجمة عن الصراع القرطاجي الروماني كان لها الدور البارز في تأجيج الخلاف بين النوميديتين خاصة خلال الحرب البونيقية الثانية 218-202ق م، كما استثمرت روما بدورها في الخلافات المحلية بعد أن تدخلت في شؤون نوميديا الداخلية و أزمات العرش النوميدي الأمر الذي تكرر في التاريخ النوميدي فبعد أن تدخلت روما لصالح ماسينيسا نراها تتدخل في تقسيم العرش النوميدي بين ورثة ماسينيسا، وتتدخل في الحرب النوميدية ضد يوغرطة وثورته للقضاء على النفوذ الروماني والحكام الموالين له في شمال إفريقيا، كما استطاعت روما ان تحصل لها في نوميديا على قلاع لها كمدينة زاما (لحدادة حاليا)، وتثير الجيتول ضد يوبا الثاني حيث خدموا **قيصر** في حملته الإفريقية.

ي- نهاية الممالك النوميدية : يرجع انهيار الممالك النوميدية إلى عوامل خارجية و اخرى داخلية نلخص من بين أبرزها فيما يلي:

- التوسع الامبريالي الروماني، وسياسة الإغراء والتفرقة التي انتهجها الرومان بين النوميديتين.

- غلبة النظام القبلي و تضارب المصالح مما حال دون تأسيس سلطة سياسية محكمة التنظيم في نوميديا.

- التفاوت الكبير بين السكان في المدن الذين كانوا غالبا ما يتمتعون بنظام محلي، وبين سكان الأرياف الذين لم يندمجوا في التطورولم ينتفعوا من فو ائض الانتاج .

- كان بعض الملوك يمثلون مصادرا للازمات، وذلك في سبيل المحافظة على الامتيازات والسلطة، أو بدفع من كيانات سياسية خارجية خاصة من طرف الرومان.

المحاضرة الرابعة: العلاقات بين الممالك البربرية والفينيقيين.

1- الدولة الفينيقية 880 – 146 ق.م

يعتبر الفينيقيون أمة سامية، هاجر أبناؤها من الجزيرة العربية إلى بلاد الشام واستقروا في لبنان وبالتحديد في مدينة صيدا ومدينة صور، والفينيقيون، بطبيعة الحال، أمة بحرية يعيش أبناؤها على التجارة ويهتمون بتأسيس المدن على سواحل البحر الأبيض المتوسط لترويج بضائعهم، كما أن بعد المسافة بين صيدا وشبه الجزيرة الإيبيرية قد دفع بالفينيقيين إلى إقامة مراكز تموين وإصلاح السفن في المدن الساحلية بشمال إفريقيا، وهكذا ازدهرت العلاقات التجارية بين الفينيقيين وسكان شمال إفريقيا الذين كانوا يحصلون على الأقمشة المصبوغة والأواني والزجاج ويصدرون إلى الفينيقيين الأنعام والأصواف والجلود وريش النعام والعاج.

ونتيجة لذلك أسس الفينيقيون حوالي 300 مركز تجاري بشمال إفريقيا وبناء 200 مدينة لتقوية العلاقات التجارية بينهم وبين إخوانهم الكنعانيين بهذه المنطقة الاستراتيجية، ومن المدن الساحلية التي انتشر فيها الفينيقيون بكثرة نخص بالذكر: تونس وبنزرت وسوسة (في تونس)، ومدن : الجزائر، بجاية، عنابة، جيجل، القل، شرشال، دلس، تنس، تيقزيرت في الجزائر، ومدن : طنجة، مليلة، أجادير، (بالمغرب)

وتذكر الروايات التاريخية أنه خلال المدة الزمنية الممتدة ما بين سنة 880 و814 ق.م، تمكن الفينيقيون بسبب صراعات داخلية في مدينة صور (العاصمة الثانية للفينيقيين) من إقامة دولة قرطاجنة في شمال إفريقيا والتي تحولت إلى دولة بحرية قوية تسيطر على مدن وشواطئ شمال إفريقيا والأندلس، وتحمي الفينيقيين المتواجدين في مدينة صور نفسها وكذلك سكان شمال إفريقيا وصقلية والأندلس من طغيان اليونان والرومان .

وفي الحقيقة أن الفينيقيين الذين أسسوا دولة قرطاجنة في بلدان المغرب العربي المعروفة في وقتنا الحالي، لم يكن هدفهم إخضاع واحتلال موانئ شمال إفريقيا بالقوة، وإنما كان هدفهم إقامة مراكز تجارية والتعاون مع المنطقة. وعليه فإن الحاكم القرطاجي كان متساهلا ومتسامحا مع الأهالي، ولم يعمل قادة قرطاج على التخلص من زعماء العشائر ورؤساء القبائل (كما فعل الرومان فيما بعد)، وإنما حاولوا الاندماج في المجتمعات المحلية، وازدادت أواصر التعاون والمودة بين الفينيقيين والأهالي بشمال إفريقيا عن طريق المصاهرة والعمل المشترك في المشاريع التجارية.

المؤسسات الدستورية القرطاجية

أ- الملك :كان من بين مهام الملك القرطاجي

استدعاء مجلس الشيوخ للاجتماع تحت رئاسته .

تحضير جدول الأعمال والنقاط التي ستدرس

قراءة القرارات النهائية التي يصادق عليها مجلس الشيوخ .

استدعاء مجلس الشعب عند الحاجة

.تولي قيادة الجيوش أثناء الحرب

. تولي المهام الدينية والقضائية.

ب- مجلس الشيوخ: وحسب ما ذكره (ارسطو) فإن مجلس الشيوخ القرطاجي (Gérousia) كان مقسا إلى عدة مجموعات تتولى دراسة المسائل الاقتصادية السياسية والاجتماعية، وينتسب أعضاؤه إلى الأسر الأرستقراطية ذات المال والنفوذ الواسع . من ذوي الأصول القرطاجية أو الفينيقية .وقد قدر المؤرخون تعداد أعضاء مجلس الشيوخ القرطاجي بحوالي 300عضوا ومن مهامه: إعلان الحرب والسلم، استقبال السفراء الأجانب وإرسال البعثات الديبلوماسية، تقرير تجنيد المرتزقة والعبيد أثناء الحروب، كما يتولى الاشراف على الأمن العام وسن القوانين، وتولي الرقابة المالية والإدارية، ودراسة التقارير التي يبعث بها قادة الجيوش ويزوده بالتعليمات اللازمة.

ج- مجلس الشعب :يتكون هذا المجلس من المواطنين القرطاجيين، ولا يخول للعبيد والأجانب الدخول فيه، ويشترط في أعضائه أن يكونوا قد بلغوا سنا معينة، أو يكون لهم مقدار معين من الوجاهة والمال ومن مهامه: النظر في القضايا التي يظهر فيها الخلاف بين مجلس الشيوخ والقضاة، والمشاركة في انتخاب الضباط الذين يتولون قيادة الجيوش، وكذلك القضاة الذين يتولون الحكم لمدة سنة قابلة للتجديد. وكانت مهمة المجلس الشعب استشارية أكثر منها تنفيذية .

2- المراكز الفينيقية في الساحل الجزائري وأهم المدن المتأثرة بها:

أسس الفينيقيون عدة مراكز تجارية على سواحل الجزائر،وذلك أما أثبتته مخلفات القبور والمواقع الأثرية ونقوش الكتابة البونية، والقطع الفخارية ذات الطابع البوني، وقد وقع الاختيار على هذه المدن نظرا لانبساط شواطئها، واحتمائها بين الجزر الصخرية التي تحمي سفنهم من الامواج المتلاطمة، ونذكر من أبرزها: تيبازة (Tipasa) ، إيول" (Iol) شرشال حاليا" ، كارتينا (Cartenna) تنس الحالية، روس غونية" (Rusguniae) برج البحري حاليا"، روسوكورو (Rusuccuru) دلس حاليا، صلداي (Saldae) بجاية، ايجيجيلي (Ijigili)جيجل حاليا، شولو (Chullu) القل حاليا، روسيكاد (Rusicade) سكيكدة حاليا.

أما عن المدن الداخلية التي ظهر فيها تأثير الحضارة البونية كان من أبرزها: تبسة (Theveste) والتي يعود الوجود القرطاجي بها إلى حوالي 247 سنة ق م، ومدينة قالمة (Kalama) والتي بقيت تحتفظ بتقاليدها وعاداتها البونية وبمؤسساتها الدستورية حتى فترة الامبراطور الرومانية تراجان (Trajan)، ومن أبرز المدن كذلك سيرتا (CIRTA) قسنطينة حاليا حيث يعتقد أغلب المؤرخين أن أصل تسمية سيرتا يعود للفينيقيين.

3- العلاقات السياسية بين حكام قرطاجنة وحكام الجزائر.

إن القرطاجنيين أو (البونيقيين) مثل سكان شمال إفريقيا ينتمون إلى الجنس السامي وهذه النقطة هي التي ساعدت على خلق التفاهم والانسجام بين حكام البربر وحكام قرطاجنة. كما توطدت العلاقات السياسية بين الطرفين بسبب الرغبة الصادقة للقرطاجنيين في إستمالة زعماء وأمراء القبائل أو العشائر المتواجدة في الجزائر حيث لم يحاول حكام قرطاجنة أن يستعمروا ويسيطروا على الإمارات البربرية وإنما استعملوا الدهاء السياسي وأغدقوا الأموال والامتيازات على الحكام المحليين وتقربوا إليهم عن طريق المصاهرة وتمكينهم من الحصول على البضائع الضرورية لمواطنيهم وتدريبهم على صناعة المستلزمات التي يحتاجها سكان كل إمارة، كما أخذ البربر عن القرطاجنيين بعض التقاليد الزراعية والكتابة، وفي جانب المعتقدات الدينية مثل عبادة الشمس والقمر ....

أما في الجانب العسكري فلم يكن لقرطاجة جيش عسكري نظامي، فكانت تعتمد في أغلب قوتها العسكرية على تجنيد العبيد والمرتزقة، ومن هذا المنطلق كانت قرطاجة حريصة على إقامة علاقات ودية مع أمراء البربر وعقد المعاهدات العسكرية معهم، حيث كانت تقضي بالوقوف إلى جانب الجيش القرطاجي في حالة الحروب الخارجية او قيام تمردات داخلية، وكان لهذه السياسة الأثر البارز في ضمان مصالح الفينيقيين الاقتصادية، والاستمتاع بقرون طويلة من السلام والاستقرار.

4- السياسة التقسيمية الرومانية وردود فعل الممالك البربرية:

يستخلص من الدراسات التاريخية أن حكام روما حاولوا باستمرار أن يتدخلوا في شؤون الإمارات المتواجدة بشمال إفريقيا وينتهجون سياسة "فرق تسد" وذلك بقصد إضعاف الممالك البربرية وتقليص نفوذ قرطاجنة والتمهيد لاستيلاء روما على شمال إفريقيا، وهذا ما حصل بالفعل خلال الفترة الممتدة مابين 149- 146 ق م، ولاكن هذه السياسة دفعت بالنوميديين إلى التوجه نحو الوحدة مثلما برز ذلك في المجهودات التي قام بها ماسينيسا (201- 149 ق م) لإقامة دولة بربرية قوية بشمال إفريقيا، حيث ازدهرت في عهده التجارةوالفلاحة والثقافة وأصبحت سيرتا عاصمة تحضا بسمعة واحترام دولي، ودام حكمه خمسون سنة حيث سك العملة باسمه، وقوى العلاقات التجارية بين نوميديا وأثينا ورودس، وامتاز عهده بازدهار الزراعة، واهتم بالتنظيم الاداري للمدن كما عمل على توطين البدو، وخلق دساتير لتنظيم الحياة الاجتماعية، أما في الجانب العسكري

فقد أسس ماسينيسا جيشا قويا يتكون من 50000 جندي، ورفع شعار "إفريقيا للإفريقيين" وتوحيد منطقة شمال إفريقيا تحت قيادته، ولكن قوة دولته لم تستمر بسب الصراع المزمن مع القرطاجيين، لتتمكن روما في الأخير من التخلص من ماسينيسا سنة 148 ق م، لتلتهم من بعهدها قرطاجة سنة 146 ق م.

إنهارت دولة قرطاجنة سنة 146 ق.م. وذلك بعد الصراع الطويل بين الجنس السامي والآري، أو الصراع بين العنصر الأسيوي – الإفريقي والعنصر الأروبي. وبانهزام دولة قرطاجنة التي اشتهرت بأساطيلها البحرية الهائلة وقوتها في التجارة والزراعة وازدهار الحياة العمرانية، انتقلت زعامة العالم من يد أبناء شمال إفريقيا إلى يد أبناء جنوب أوروبا، أي أبناء روما الذين فرضوا سيطرتهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية على سكان شمال إفريقيا لمدة طويلة من الزمن .و يمكن تلخيص أسباب سقوط دولة قرطاجنة وانهيارها في بعض النقاط الرئيسية المتمثلة في:

- الانقسامات السياسية التي كانت تمثل مصالح عرقية واقتصادية متضاربة.

- اهتمام الدولة بالربح والتجارة وكسب المال وإهمالها لبقية القضايا.

- إعتماد الدولة على الجنود المرتزقة الذين يبحثون عن الغنائم والمكافآت المادية أكثر مما يبحثون عن صيانة أمن الدولة.

- المعاملة السيئة للمواطنين في الفترات الزمنية الأخيرة والغرور الذي أصبح سائدا في أوساط الطبقة الأرستقراطية .

المحاضرة الخامسة: الاحتلال الروماني للجزائر 146 ق م – 429م.

أ- الملامح العامة للسياسة الرومانية في نوميديا.

اتجه الرومان مباشرة بعد تحطيم قرطاجنة إلى توسيع نفوذهم السياسي والعسكري نحو الجزء الشمالي الغربي من القارة الإفريقية انطلاقا من الجزائر، واعتمدوا في سياستهم التوسعية على إذكاء نار الفتنة والصراع بين ورثة العرش النوميدي، وهم أبناء الملك ماسينيسا الثلاث وكان أكبرهم مسيبيسا الذي عين حاكما إداريا، ومصطنبعل حاكما للشؤون القضائية، وغولوسة قائدا للجيوش الإفريقية، كان الرومان يهدفون من خلال سياسة التفرقة إلى تشتيت شمل هؤلاء الامراء ومنع كل أسباب الوحدة بينهم حتى لا يشكلوا فيما بعد خطرا على الكيان الروماني في شمال إفريقيا، وكان سكيبيو - حاكم قرطاجنة - هو المتصرف الحقيقي في شؤون الدولة الإفريقية، وخيراتها التي كان يرسل بها إلى روما.

لقد انتهج الرومان سياسة قائمة على التهميش والاقصاء للعنصر المحلي طيلة تواجدهم بالبلاد النوميدية، فكانت كل المدن والطرق والموانئ وكل ما أنجزوه من أسباب الحضارة موجهه لخدمة المعمرين الرومان وأتباعهم الذين سخروا لخدمة السياسة التوسعية الرومانية، كما صودرت الأراضي الزراعية الخصبة واستغلها الرومان لزراعة محاصيل القمح والزيتون والكروم ولتربية الحيوانات والدواجن وكانت كلها توجه نحو روما، لقد كان الاستعمار الروماني استعمارا عسكريا بحتا قائم على الهيمنة والاستنزاف، هذه السياسة التي كان لها آثار وخيمة على الحياة الاقتصادية والاجتماعية للعنصر المحلي، مما أدى إلى نفور البربر ومقاطعتهم لجميع أشكال التعامل والتعايش مع الرومان.

ويمكن أن نلخص أهم السمات العامة للحكم الروماني في البلاد النوميدية في العناصر الموالية:

- بالنسبة للنظام الإداري كان يتولى حكم المستعمرات الرومانية في شمال إفريقيا حاكما يدعى "برو قنصل" مركزه قرطاجنة وينتخب من طرف مجلس الشيوخ الروماني، أما حاكم نوميديا فكان يعين من طرف قيصر روما، وكان يجمع بين يديه السلطات المدنية والعسكرية والمالية والقضائية.

- تم تقسيم المستعمرات الرومانية إلى صنفين، الصنف الأول وهو المقاطعات المدنية وتشمل المناطق الأكثر أمنا والتي مر على احتلالها زمن طويل من طرف الرومان، وتخضع لسلطة حاكم مدني يتمتع بالعضوية في مجلس الشيوخ الروماني مثل نوميديا الشرقية، أما الصنف الثاني فيتمثل في المقاطعات العسكرية وهي المناطق التي كانت ميدانا لنشاط الثورات الشعبية في مواجهة الاحتلال الروماني، ويشرف على تسييرها قادة عسكريون يشرف على تعيينهم الامبراطور الروماني.

- أما فيما يخص جانب الاقتصاد والعمران فقد اهتم الرومان بإنشاء المدن والقلاع العسكرية وشبكات الطرق التي تحقق لهم الاتصال السريع بين مختلف الحاميات العسكري الرومانية مثل: تمقاد، ولامبيس، جميلة، قالمة، تبسة، تيسيفيس...، كما اهتم الرومان بالفلاحة لما تدره عليهم من أرباح طائلة على حساب الشعب البربري الذي كان يغرق في الضرائب، كما اهتم الرومان بصناعة التعدين والنسيج ودباغة الجلود، وكانت كلها تصدر نحو روما.

- أما في الجانب الثقافي فقد تميزت فترة الحكم الروماني بالعقم الحضاري، وغياب جميع مظاهر التعايش الثقافي بينهم وبين البربر رغم محاولة الرومان نشر اللغة اللاتينية، ولكن لم يكن الهدف من هذه المحاولة تنوير البربر بمقاليد الحضارة الأوربية، بل كان نشر اللغة اللاتينة كوسيلة من وسائل السياسة التوسعية الرومانية.

ب- وصول يوغرطة إلى الحكم وقيادة المقاومة ضد الرومان:

مات مسيبيسا عام 118 ق م، وخلفه ولديه أذر بعل وهيمبسال وابن أخيه يوغرطة، إلا أن هذا الأخير لم يكن راضيا على حكم يخدم السياسة الاستعمارية الرومانية، ورأى أن إحياء مشروع الدولة النوميدية القوية لا يكون إلا بالتخلص من حكم الرومان وإبني عمه الموالين لهم، وبعد هيمنة يوغرطة على الحكم توجه إلى حشد القبائل البربرية للثورة ضد الرومان، وفعلا فإن روما قد أدركت خطر وطموح هذا الرجل الذي بات يهدد مصالحها وفي عام 112 ق.م، وجهت إلى إفريقيا جيشا كبيرا بقيادة القنصل بيستيا، حيث استطاع يوغرطة أن يحقق انتصارا عليه ويحمله على قبول الصلح، مما حمل روما للإعتراف له بالسلطة على كامل نوميديا، ولكن يوغرطة لم يستغل انتصاره للقضاء على القاعدة الرومانية في قرطاجنة، حيث ستقوم روما بإعادة ترتيب صفوف جيشها وشن هجمات جديدة.

تجددت الهجومات الرومانية وتجددت معها انتصارات يوغرطة، وكانت الحروب بين الفريقين بن طاحنة، تمكن البربر بقيادة يوغرطة من دحر الرومان عدة مرات وتشتيت شملهم، ولكي يدعم يوغرطة نصره سار إلى بلاد موريطانيا الغربية "المغرب الأقصى" لطلب دعم صهره الملك " يوكوس" فأعانه أول الأمر، بل استطاع يوغرطة أن يقنعه بضرورة التحالف ضد العدو المشترك، فتكونت قوات مشتركة خاضت الحرب ضد قوات ماريوس الذي انتخب برو قنصلا عام 107 ق م، ولكن روما دخلت في اتصالات سرية مع بوكوس وأقنعته بالتخلي عن يوغرطة مقابل منحه حكم نوميديا الغربية، وذلك ما حصل فعلا حيث ألقى القبض على يوغرطة وسلمه إلى الرومان، حيث نقل إلى روما وأودع السجن هناك إلى أن مات عام 104 ق م.

استمرت المقاومة ضد الرومان في عهد الملك البربري يوبا الأول الذي تولى حكم نوميديا الشرقية عام 67 ق م، حاول تكوين جيش قوي، وتحقيق وحدة وطنية والتخلص من التبعية للرومان، ولكن أنهى حكمه بعد الهزيزمة في معركة

تابسوس عام 46 ق م، وسار على على نهجه الامير عرابيون بن مسينيسا الثاني ولكنه هزم وقتل من طرف الرومان سنة عام 42 ق م، وبذلك تتوقف المقاومة البربرية فترة من الزمن.

ج- سياسة الإدارة والحكم في عهد يوبا الثاني و إبنه بطليموس:

يوبا الثاني هو إبن يوبا الاول ولد عام 50 ق م ولما توفي والده سنة 46 ق مكان عمره أربع سنوات، فأخذه الإمبراطور الروماني يوليوس قيصر وتبناه، ورباه تربية رومانية ليكون في المستقبل صديقا لروما، ولما توفي يوليوس قيصر خلفه أغسطس قيصر واعتنى به هو الآخر ولقنه العلوم والفنون والتاريخ والجغرافيا في معاهد روما، فنشأ يوبا الثاني رومانيا في روحه وسلوكه، تزوج الملك يوبال ثاني من كليو بتره سيليني (القمر) إبنة الملكة المصرية المشهورة، وأجلس على عرش المملكة النوميدية، واتخذ من مدينة "يول" شرشال عاصمة له، حكم يوبا الثاني نوميديا لمدة 50 سنة في حماية الرومان، وعاش في جو هيليني (يوناني) وسعى لتزيين عاصمته ليفاخر بها أثينا ورما وقرطاجنة، وعمل على غرس الثقافة الرومانية بين رعيته.

كما سار ابنه بطليموس على نهجه (23-40م)، حيث وحد مملكة موريطانيا في ضل الحماية الرومانية وجعل كل القبائل الأمازيغية تحت سيادته، كما تمكن من القضاء على مقاومة تاكفاريناس الشرسة والتي اندلعت سنة 17م وامتدت لمدة سبع سنوات، وشملت معظم أنحاء نوميديا الشرقية وكبدت الرومان خسائر فادحة، ولما نجحت سياسة بطليموس في القضاء على ثورات الموريين استقبله مجلس الشيوخ استقبالا حارا، ووشحوه بصولجان الملك العاجي، وأعطوه سترة النصر البطولي، ولكن الامبراطور الروماني "كاليكولا" كان يترقب انتصاراته بحذر ويخشى من طموحه في توسيع سلطانه، فأضمر له الشر والحسد وكان يتحين الفرصة المناسبة للانقضاض عليه، وفي أحد حفلات المصارعة الرومانية حضر بطليموس مرتديا الزي الأرجواني الامبراطوري، فأمر كاليقولا جنوده باغتياله سنة 40م، وبموت بطليموس انقرضت الممالك الأمازيغية، وقسم شمال إفريقيا إلى ولايتين موريطانية القيصرية وموريطانيا الطنجية، تخضعان مباشرة إلى حكم روما، ولكن رغم ذلك لم تتوقف المقاومات والثورات الشعبية حيث انتشرت في المنطق الممتدة بين جبال البابور والاوراس وسكيكدة وقسنطينة والقبائل ... لتستمر إلى عام 375م، مع ثورة النوميدي فيرموس في جرجرة.

د- نهاية حكم الرومان:

تبنت روما رسميا الديانة المسيحية عام 312م، وقرب الامبراطور الروماني إليه الكنيسة الكاثوليكية، واعتبرها مطية لتحقيق الهيمنة الروحية على الشعوب، ولكن البربر عارضو التوجه الديني لروما والتفوا حول راهب بربري يدعى دوناتوس الغربي "دوناتوس" الذي أسس سنة 311م، مذهبا انشق عن الكنيسة المسيحية الموالية للحكم الروماني، وكان ظاهر هذه الحركة دينيا وباطنها سياسيا يرمي إلى تحرير شمال إفريقيا من استبداد الرومان، فألف

جندا وزرع بذور الثورة ضد النظام الاستعماري الروماني، وكان الوالي العام في شمال إفريقيا يدعى الكونت "بونيفاس" وهو متزوج من امرأة وندالية، وقد خشي عزله من طرف السلطة المركزية في روما فأعلن عصيانة وانفصاله عنها عام 429 ق م، بعد أن تحالف مع الوندال واتفق معهم على الاحتفاظ بمملكة افريقيا (تونس حاليا) مقابل التنازل عن الجزائر والمغرب الأقصى، وهكذا انتهى الاحتلال الروماني في شمال إفريقيا والذي استمر لمدة ستة قرون.

الاحتلال الوندالي للجزائر 429 – 534م.

1-أصل القبائل الوندالية:

الوندال قبائل من أصل جرماني كانت تقطن شمال أوروبا حول بحر البلطيق، بدأت تنتشر في جنوب ألمانيا خلال القرن الخامس ميلادي ثم تقدمت إلى بلاد غالية "فرنسا" ووصلت إلى شبه الجزيرة الإيبيرية عام 409م، وعندما اشتدت المؤامرات والاضطرابات الداخلية ضد الحاكم الروماني في شمال إفريقيا "بونيفاس" عام 422م فقامت حكومة روما بعزله عام 427م، فعصى "بونيفاس" أمرها واستنجد بالوندال الذين كانوا يحكمون إسبانيا فقلبوا طلبه وعبروا مضيق جبل طارق إلى إفريقيا عام 429 م بقيادة "جزريق " حيث كان عدد جموعهم حوالي ثمانين ألفا بينهم خمسة عشر ألف جندي، ونزلت حملتهم على الشواطئ المغربية لتواصل زحفها شرقا فأتت على الأخضر واليابس أثناء زحفها حيث قاموا بقطع الأشجار وإتلاف المزروعات وتقتيل الأبرياء من النساء والأطفال والشيوخ ورجال الدين وفي هذه المدة كان القديس أوغستين يسعى إلى الصلح بين بونيفاس وحكومة روما، فطلب بونيفاس بعد أن أعادته روما إلى ولايته من الوندال الرحيل عن إفريقيا فأعلنوا عليه الحرب وهزموه وحاصروه حتى أخرجوه منها سنة 431 م.

2- توسع الوندال وسياستهم في الحكم:

استولى الوندال على نوميديا وما يليها غربا واتخذوا بونة عاصمة مملكتهم، ولما يئست روما من استرجاع مستعمراتها عن طريق الحرب جنحت للسلم مع الوندال فعقدت مع جزريق صلحا يقضي بالإعتراف بحماية الرومان عليهم ووقف نفوذ الوندال عند حدود نوميدبا شرقا، ولكن الوندال لم يحترموا هذا الاتفاق طويلا، بل اغتنموا فرصة انشغال الرومان بمحاربة القوط وشنوا حملة كبيرة على مدينة قرطاجنة واستولوا عليها عام 439 م ونقلوا إليها عاصمتهم وأسسوا دولة وراثية تداول الحكم عليها سنة ملوك، أولهم : جزريق (429 - 477 م) وآخرهم جليمار (531 - 534م)، وقد استطاع الوندال أن يستولوا على جزر البليار وسردينيا وكورسيكا وصقلية واحتلوا روما لمدة 15 يوما عام 455 م ثم رحلوا عنها .

لم يحدث الوندال أي تغيير إداري على بلاد المغرب، بل احتفظوا بالنظام الإداري الذي ورثوه عن الرومان وأبقوا على الموظفين الرومان الذين أصبحوا يديرون شؤون السكان، وقد أبقى الوندال لسكان الوطن الجزائري مجالسهم البلدية وشرائعهم المحلية، ولم يكن الوندال أهل حضارة ولا كانوا يقدرون القيم الحضارية، بل كانوا قوم غلاظ يرتبط اسمهم بكل مفاهيم الوحشية والهمجية، حكموا البلاد بالاستبداد المطلق، وصادروا الضياع من الأهالي وانتزعوا منهم أملاكهم وأراضيهم، وتعسفوا في جمع الضرائب، كما نتهج الوندال نفس السياسة التي مارسها الرومان الذين عاثوا فسادا بقرطاجنة عند الاستيلاء عليها، كذلك أتى الوندال على كل المنشآت والحصون الرومانية.

3- موقف البربر من الاحتلال الوندالي:

إلتزم البربر موقف الترقب والحذر أمام الصراع الوندالي الروماني في شمال إفريقيا، ولكن بعد سيطرة الوندال تبين للسكان الأصليين أن الوندال مثل الرومان في القسوة والوحشية والاستغلال، فقامت ثورات شعبية بربرية عديدة تطالب بتحرير البلاد، في الوقت الذي نشبت فيه خلافات بين الوندال أنفسهم على السلطة، حيث كثرت الدسائس والمؤامرات ضد كل حاكم، وقد حاول "جليمار" استخدام سياسة الإبادة والقمع في مواجهة هذه الثورات ولكن دون جدوى، في الوقت الذي قدم فيه الروم البيزنطيون الذين يعتبرون أنفسهم الوارث الشرعي للدولة الرومانية إلى حرب جليمار، حيث استولوا على قرطاجنة عام 533م، وظل جليمار يجمع الوندال ويحاول التحصن بالجبال إلى أن استسلم إلى الروم عام 534م، وباستسلامه انتهى الاحتلال الوندالي الذي استغرق بالبلاد ما يزيد عن قرن.

الاحتلال البيزنطي للجزائر 534 - 647 م

1- التوسع البيزنطي في الجزائر:

كان الروم يسكنون الإمبراطورية الشرقية وعاصمتها بيزنطة التي تم فتحها في عهد السلطان العثماني محمد الفاتح حيث صارت تدعى "إسلامبول" أي مدينة الإسلام، وقد غير هذا الاسم إلى " إسطامبول " وقد كان العرب يطلقون اسم " الروم" على أهل المملكة الشرقية في حين كان الإفرنج يطلق عليهم إسم البيزنطيين. لقد توسعت الإمبراطورية الرومانية بين عالمي الشرق والغرب، ما جعلها عاجزة عن القيام بإدارتها فحاول كثير من الأباطرة رفع ذلك العجز، بإشراك بعض قرابتهم في الحكم والإدارة، وكان من أبرزهم "قسطنطين" هذا الأخير الذي أسس عاصمته "القسطنطنية" في الجناح الشرقي للإمبراطورية الرومانية وقوى نفوذه على حساب الحكم المركزي في روما، وتمكن رفقة حليفه "ليقينيوس " من دخول روما عام 312م ليصبح "قسطنطين" عام 330م الإمبراطور الوحيد لجميع أنحاء الامبراطورية الرومانية التي صارت عاصمتها بيزنطة بعد أن نقل إليها مقر حكومته.

بعد أن بلغ البيزنطيون قوة عظيمة بدأوا يحاولون استرجاع كل الممالك التي خرجت عن روما، وفي صائفة سنة 533 م ركب القائد العسكري البيزنطي " بليزاريوس" البحر في أسطول يتكون من خمس مائة سفينة، وكان على متنه خمسة عشر ألفا مقاتل، فاستولى على تونس وعاصمتها قرطاجنة ثم تقدم نحو نوميديا واستولى على مدن: عنابة وقسنطينة قالمة وبلاد الحضنة والأوراس وشرشال وتنس وبجاية وغيرها من البلاد الساحلية، ثم بنى حصونا على أطراف البلاد لحمايتها، ثم توجه للتوسع في المناطق الداخلية انطلاقا من مدينة تبسة وخنشلة وتيمقاد ولامبيس وصولا إلى منطقة الحضنة.

2- سياسة البيزنطيين في حكم الجزائر:

تميز الحكم البيزنطي في شمال إفريقيا خلال مرحلته الأولى بالطابع المدني، حيث عينوا حكاما مدنيين على المقطعات التابعة لهم في شمال إفريقيا، ولكن تغير هذا الوضع منذ سنة 578م حيث شرع البيزنطيون في تعيين الحكام العسكريين لمواجهة ثورات البربر، أما بالنسبة للجزائر فقدتم تقسيمها خلال هذه المرحلة إلى ثلاثة مقاطعات وهي (نوميديا وعاصمتها قسنطينة، وموريطانيا السطايفية وعاصمتها مدينة سطيف، وموريطانيا القيصرية وعاصمتها مدينة شرشال)، وفي بداية الاحتلال

استعمل البيزنطيون سياسة الدهاء السياسي والمجاملة والتقرب من سكان شمال إفريقيا وذلك بقصد إعطاء إنطباع للأهالي بأن البيزنطيين جاءوا ليخلصوا السكان من الاضطهاد المسلط عليهم من طرف الوندال، لكن بمجرد استتباب الأمن وتقرب الأهالي منهم، إتضح للسكان الأصليين بالمنطقة أن البيزنطيين يطبقون عليهم قوانين مجحفة ويعاملونهم بقسوة وعنف، وإرهاقهم بالضرائب الباهظة، وبذلك إستفحلت العداوة بين البربر والبيزنطيين.

لم يقدم البيزنطيون للبربر أي عمل ذي شأن في ميدان الإصلاح أو الثقافة، وكل ما فعلوه من تعبيد طرق أو بناء حصون أو حركة فلاحة إنما هو من أجل مصالحهم الاستعمارية ومن أجل بناء حضارتهم المادية بعاصمتهم البيزنطية، وللمحافظة على أمنهم أحاطوا أنفسهم بأسوار عالية لم تزل آثارها حتى اليوم دالة على تاريخهم الذي لم يترك أي أثر روحي أو لغوي أو حضاري بالرغم من هياكله الضخمة وأثاره الفخمة، بل عاثوا في البوادي فسادا، الأمر الذي أثار عليهم البربر نتيجة معاملتهم السيئة لهم فقامت في البلاد ثورات عديدة ضدهم .

3- ثورات البربر ضد البيزنطيين:

عمل أمراء البربر على توحيد القبائل الجزائرية لمواجهة سياسة التشتيت والتفرقة التي انتهجها البيزنطيون، وكان من أبرزهم: (بيداس الذي كان حاكما على جبل الأوراس، و أرثياس حاكم منطقة غربي أوراس إلى الحضنة، وكوتزيناس حاكم منطقة شرقي أوراس) ، وقد بلغت الثورات البربرية أوجها في عهد الحاكم البيزنطي "صولون" (سليمان)، فحاربوا البيزنطيين واستولوا على جميع مراكز جندهم بدواخل الوطن، فكانت ثورة كوتزيناس الذي حاصر جنود قوات "صولون" حتى أبادها، وعندما أعاد سليمان الكرة جاءت هجمات الأميرين النوميديين "بيداس، وميناس"، وفي ربيع عام 536 م حاول الخصي أن يجدد الكرة على "بيداس" ولكنه فشل وهرب إلى قرطاجنة فصقلية حيث طلب نجدة بليزاريوس.

وقد حاول البيزنطيون إثارة الخلاف والفتنة بين زعماء البربر كل حل أخير لاحتواء ثوراتهم، ولكن سياستهم باءت بالفشل وتواصلت الثورات إلى أن وصلت أبواب قرطاجنة عام 598 م، ولقد زاد في ضعف السلطة البيزنطية بالجزائر ضعف السلطة المركزية نفسها، ففي سنة 602 م قتل الإمبراطور

"موريس" وانتصب مكانه "فوقاص" الذي قدم بجنود من الدانوب، فغضب هرقل الحاكم العام وقائد الجيوش البيزنطية بإفريقيا على هذا العمل وثار على "فوقاص" عام 608م، وفي هذا الحين كان الوالي بإفريقيا يدعى "جرجير " الذي أعلن انفصال إفريقيا عن عرش القسطنطينية متخذا " سبيطلة " عاصمة له . وهكذا لم تستمر دولة "جرجير " طويلا حتى جاء الفتح الإسلامي عام 647 م بقيادة والي مصر عبد الله بن سعد بن أبي سرح رضي الله عنه.

الفتوحات الإسلامية في المغرب الأوسط (الجزائر) وعصر الولاة (647-776م)

أولا- مراحل الفتح الإسلامي :

1- المرحلة الأولى من الفتح: لما تولى عثمان بن عفان رضي الله عنه الخلافة أمر والي مصر عبد الله بن سعد بن أبي سرح أن يتهيأ لفتح أفريقيا، وفعلا فقد أذن له بذلك في شهر محرم من عام 27 هـ / شهر أكتوبر من عام 647 م، فخرج عبد الله بن أبي سرح من مصر إلى إفريقية على رأس جيش مؤلف من عشرين ألف مجاهد، وكان في جيشه من وجوه الصحابة أهل الشجاعة والتضحية في سبيل الله، مثل : عبد الرحمان بن أبي بكر، ومروان بن الحكم، وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن جعفر وعبد الله بن عباس وعقبة بن نافع وعبد الله بن عمر وأبو ذؤيب الهذلي . إلتقى المجاهدون بجرجير الذي خرج من سبيطلة بمائة وعشرين ألفا من الروم ودارت المعركة بين الفريقين، حيث قتل جرجير على يد عبد الله بن الزبير، واندفع المسلمون إلى عاصمة سبيطلة ففتحوها ثم إلى قفصة ثم إلى قصر الأجم. وعلى إثر هذا الانتصار الكبير طلب الأفارقة من أبي سرح الصلح مقابل دفع جزية سنوية فخرج عنهم وعاد إلى مصر بغنائم كثيرة إلى.

2- المرحلة الثانية من الفتح: عندما استشهد عثمان بن عفان رضي الله عنه ووقعت الفتنة الكبرى، نقض البرابرة الصلح سنة 654م في حين تكالب الروم على البلاد الإسلامية، فأرسل معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه معاوية بن حديج الكندي لفتح أفريقيا عام 666 م بجيش قوامه عشرة آلاف مجاهد منهم بعض الصحابة وكبار القادة مثل: عبد الله بن عمر بن الخطاب وعبد الله بن الزبير وعبد الملك بن مروان، وتم فتح جربة قرب خليج قابس وسوسة وبنزرت وغزيت صقلية ثم رحل ابن حديج إلى مصر، إثر هذه المراحل الاستكشافية، تبدأ مرحلة التأسيس والاستقرار ونشر الدين الإسلامي.

ثانيا- مرحلة حكم الولاة في المغرب الاوسط:

1-ولاية عقبة بن نافع الفهري : في عام 670 م، أرسل معاوية بن أبي سفيان، عقبة بن نافع الفهري إلى إفريقية فتوسع في الفتح وقام بتأسيس مدينة القيروان التي صارت قاعدة للجيوش الإسلامية وعاصمة لإفريقية ومركزا للعلم والحضارة في العالم الإسلامي، أثناء ذلك فصل الخليفة معاوية بن أبي سفيان ولاية أفريقية عن ولاية مصر، فأقر ابن حديج على مصر وولى على افريقية عقبة بن نافع

الفهري الذي عمل على إخضاع البربر وتثبيت الفتح والاستقرار إلى أن تم استدعاؤه إلى المشرق عام 675م.

2- ولاية أبي المهاجر دينار: واصل أبو المهاجر دينار الفتح، فأسس أسوة بعقبة مدينة أخرى إلى جانب القيروان سماها " تكروان " ثم اتجه بعد ذلك إلى الجهات الغربية حيث الجزائر الحالية ومر بمدينة بسكرة ونواحيها وقاتل بعض رؤساء القبائل واتخذ مدينة ميلة مركزا للعمليات العسكرية، ثم تقدم إلى تلمسان حيث حفر عددا من الآبار للشرب والسقي ما تزال تسمى إلى اليوم " عيون أبي المهاجر " .... وكان من أمراء البربر أميرا يدعى كسيلة ، الذي كان من الموالين للروم، حيث عرض عليه أبو المهاجر الإسلام فرفض الاستجابة كان كسيلة قد جمع جموعه من البربر والروم فاصطدم جيشه بالفاتحين المسلمين بقيادة أبي المهاجر دينار، فأسفر هذا الاصطدام عن انتصار ساحق للمسلمين وهزيمة كسيلة الذي وقع أسيرا في يد المسلمين، وقد كان كسيلة قد أظهر الإسلام، فقبل أبو المهاجر ذلك منه وكان يستصحبه في حله وترحاله.

3- ولاية عقبة بن نافع مرة ثانية : لما تولى يزيد بن معاوية الخلافة أعاد تولية عقبة بن نافع على ولاية أفريقية عام 682م، فقام بتجديد بناء مدينة القيروان التي استخلف عليها زهير بن قيس البلوي، واتجه إلى المناطق الغربية لمواصلة الفتح ونشر دعوة الإسلام، وصحب معه أبا المهاجر وصديقه كما استطاع عقبة بن نافع أن يفتح "باغاية" قرب خنشلة وحارب الروم في قلعة "لامبيز" وأخرج البيزنطيين من الحصون والقواعد التي كانوا يملكونها والتي كانوا يشنون منها الغارات على المسلمين.

لقد قام بمسح عام وواسع لمعظم مناطق المغرب الأوسط - والأقصى حتى طنجة، حيث لم يبق أمامه إلا مياه المحيط الأطلسي، فقبل إنه اقتحمها بفرسه ورفع يده إلى السماء باعلى صوته قائلا : (اللهم فأشهد أني قد بلغت ولولا هذا البحر لمضيت في البلاد أقاتل في سبيلك حتى لا يعبد أحد دونك)ولم يقف عند هذا الحد، بل اخذ يتوسع في الفتح حتى اقتحم إقليم السوس الأقصى وأخضع المصامدة في جبل "درن" وبدأت الدعوة الإسلامية تنتشر، حيث بدأ الناس يقبلون عليها بصدر رحب بعدما آمنوا واقتنعوا بما جاءت به من رحمة وهداية وعدالة وأخوة ومساواة بين الناس، حيث لا فرق بين عربي وأعجمي إلا بالتقوى، أي أن عنصر المفاضلة في الإسلام ليس المال والجاه أو الأصل وإنما هو التقوى.

ولما توالت الهزائم على الروم والبربر، لجأ من بقي منهم إلى الحصون والمعاقل التي لم يتم محاصرتها، وبعد فتح طنجة، اعتزم عقبة الرجوع إلى القيروان فأمر جنده أن يسبقوه إلى هناك ولم يبق معه إلا حوالي ثلاثمائة من أصحابه وفيهم أبو المهاجر دينار، واتجه بهم نحو " تهودة" في بلاد الزاب جنوب جبال أوراس قريبا من بسكرة، كان كسيلة يكن الضغينة على عقبة، فاحتال في مراسلة الروم لانتهاز الفرصة لقتل عقبة وأصحابه، فلحق بهم جيش كثيف من الروم، فاستشهد عقبة ومن معه جميعا في شهر أوت من سنة 683 م. كان المستفيد الأول من اغتيال عقبة هم الروم "البيزنطيون" الذين أخذوا في كسب المواقع الجديدة وتحصين مراكزهم، وفي هذه الأثناء كان كسيلة قد وصل القيروان عام 684م واستولى عليها وأخرج منها زهير بن قيس البلوي الذي تراجع نحو برقة.

4- ولاية زهير بن قيس البلوي: وبدون تردد عين الخليفة عبد الملك بن مروان زهير بن قيس البلوى عام 689م بعد أن أمده بجيش كامل العدة، جهزه من مصر وأختار له أمهر القادة في فن القتال، سار زهير إلى القيروان فإذا كسيلة قد جمع جيوشا كثيفة من الروم والبربر الموالين له، ونشبت المعركة، فقتل كسيلة وانهزمت جيوشه على كثرة عددها، وآثر زهير الرجوع إلى برقة أين صادف غارة الروم على سواحلها بأسطول كبير مشحون بجيوش كثيفة وأكثروا هنالك القتل والأسر والنهب فدخل زهير بن قيس المعركة منجدا، ولكن الروم كانوا من الكثرة بحيث لم تكن المعركة متكافئة، فاستشهد زهير وكثيرون ممن كانوا معه سنة 689م وكان استشهاد زهير في الفجيعة كمقتل عقبة من قبل.

5- ولاية حسان بن النعمان: بدأ الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان يولي أهمية مباشرة - بعد استشهاد زهير بن قيس البلوي - لشؤون أفريقية، فجهز جيشا ضخما بقيادة حسان بن النعمان وعين رجالا من ذوي الكفاءة كقادة ومسؤولين عن هذا الجيش الذي قدر عدده باربعين ألفا "، دخل حسان افريقية عام 693م ومضى يسترد مدنها واحدة تلو الأخرى فدخل القيروان ثم سار إلى قرطاجنة فحاصرها وقاتل الروم الذي كانوا متحصنين بها وهدم أسوارها وخربها فلم يبق للرومان أي أمل إلا الفرار منها فتم فتحها، كما أنزل بهم الهزيمة بمدينة بنزرت التونسية وكذا بباجة في حين فرت البقية إلى مدينة بونة (عنابة) الجزائرية .

كان البربر قد اجتمعوا بعد مقتل كسيلة حول امرأة من البتر التي اتخذت مقرها بجبل الأوراس، إسمها (دهيا) وتعرف بالكاهنة لادعائها معرفة الأمور الغيبية، الأمر الذي يفسر ربما التفاف الناس من حولها، وكانت الكاهنة قد اضطهدت الكثير من النصارى والأفارقة، حيث خرج ضدها منهم الكثير مستغيثين بالمسلمين، ولما علمت بقدوم حسان اتجهت نحو بلدة باغاية وعسكرت بها ثم انتقلت إلى بلدة مسكيانة، أما حسان فقد عرج على الشمال الشرقي عبر وادي مسكيانة بين العين البيضاء وتبسة وجرت معركة كبيرة انتهت بتراجع حسان وجيوشه نحو برقة، حيث كاتب الخليفة عبد الملك بما حصل فرد عليه بأن ينتظر هناك حتى تصل تعليمات أخرى جديدة.

وخلال هذا الانتظار قامت الكاهنة، ظنا منها أن المسلمين، إنما قدموا من أجل الأموال والغنائم، بتخريب المدن وقطع الزرع والشجر وتطبيق سياسة إحراق الأراضي فكان هذا العمل التخريبي قد زاد من سخط البرابرة عليها وعلى تصرفاتها الحمقاء، وغاب عن ذهنها أن الفتح الإسلامي إنما جاء استجابة للباعث الروحي بهدف نشر الدعوة الإسلامية وعمل الكاهنة لا تأثير له على هذا الباعث.

لقد باتت كل الأسباب مهيأة للمسلمين لتحقيق الانتصار على الكاهنة بعد وصول المدد من الشام عام700م، فرحب البرابرة بالفاتحين بعدما ذاقوا كل أنواع الظلم الذي مارسته الكاهنة ضدهم وكذا الروم من قبلهم، وتمكن حسان من القضاء على الكاهنة رفقة من بقي في جبل الأوراس في موضع عرف فيما بعد ببئر الكاهنة، وكان ذلك عام 701 م، ثم أمن حسان البربر فارسى قواعد النظام الإسلامي في هذا البلد بعد أن أطلع الناس على فضائله ومبادئه القائمة على أساس الأخوة والعدالة والمساواة ولا فرق بين عربي وأعجمي إلا بالتقوى.

ثم بعد ذلك توجه إلى العناية بالعمران فأعاد بناء القيروان وشجع الناس على البناء فاتسعت بذلك المدينة وصارت تستقطب الناس من كل النواحي .ومن المشاريع الهامة التي حظيت باهتمام حسان إعادة تجديد المسجد بالقيروان، كما وضع أساس جامع الزيتونة في تونس الذي أصبح فيما بعد بعدا حضاريا على مستقبل بلاد المغرب. ثم أدخل الكثير من البربر في قواته العسكرية وأخذ يبذل الجهود في مختلف الميادين وإصلاح ما أفسدته الكاهنة من أرض وزرع وعمران. كما اهتم بوضع النظم الإدارية وإنشاء الدواوين وبناء المصانع وغيرها، ثم بين أوجه جباية الخراج والجزية على من بقي على دين النصرانية من الروم ومن تبعهم من السكان المحليين، واستمال إليه السكان بتأليف قلوبهم على

الإسلام ، وأنشأ دار الضرب لسك العملة وهو أول . من نسب إليه هذا العمل : من ولاة بلاد المغرب . كما اعتنى بالتحصينات بقرطاجنة والقيروان وبناء المرفأ البحري لتركيب السفن الحربية، حيث أسفرت عمليات التوسع في بناء هذا المرفأ على تكوين مدينة "تونس" التي لعبت دورا بارزا في العلاقات بين الشرق والغرب، وهكذا بعث حسان في نفوس البربر الثقة والاطمئنان وأخذت البلاد في التطور والازدهار.

6- ولاية موسى بن نصير : أوفد الوليد بن عبد الملك القائد الإسلامي موسى بن نصير، بعد أن تم استدعاء حسان 704م، فقام بفتح زغوان بتونس ثم فتح عاصمة الزاب "طبنة " وأخضع قبائل هوارة وزناتة وكتامة، ثم اتجه نحو المغرب الأقصى فوصل طنجة وعين طارق بن زياد حاكما عليها، وفي عام 711م بعث موسى طارق بن زياد في سبعة آلاف رجل جلهم من البربر لفتح الأندلس، فعبر المضيق إلى الشاطئ المقابل الذي أصبح يحمل اسمه "جبل طارق" وعسكر في أرض الجزيرة الخضراء وخطب في جيشه خطبته المشهورة: " يا أيها الناس، أين المفر؟ البحر من ورائكم، والعدو أمامكم، وليس لكم والله إلا الصدق والصبر.." فازدادت حماسة المجاهدين ونشبت المعركة بين المسلمين والقوط بقيادة الذريق في 28 رمضان من عام 92 هـ/ جويلية 711م، وبعد ثمانية أيام من القتال الشديد قتل طارق الذريق ، وانهزم جيشه شر هزيمة وتحقق النصر المبين للمسلمين.

وأخذ طارق يتقدم نحو الشمال في اتجاه طليطلة واستولى في طريقه إليها على مدن قرطبة وما لقا، ومرسية واقتحم طليطلة، ثم لحق موسى بن نصير وفتح اشبيلية وغيرها من المدن في الناحية الغربية حتى بلغ جبال البرانس حيث كان الفتح بداية عهد جديد لقيام دولة إسلامية دامت قرابة ثمانية قرون وامتدت رقعتها حتى وصلت مشارف مدينة "بوردو " بفرنسا، ولا تزال معالم الأندلس العمرانية والحضارية في قرطبة واشبيلية وغرناطة وطليطلة وغيرها قائمة إلى يومنا هذا.

ثالثا: نتائج الفتح الإسلامي

يمكن تلخيص نتائج الفتح الإسلامي بشمال افريقيا في ثلاث نقاط رئيسية هي:

1- نشر الدين الإسلامي ودخول البربر طواعية لهذا الدين بفضل مبادئه السمحة ومثله السماوية العليا.

2- تحقيق الاندماج السريع بين المسلمين الفاتحين وبين سكان البلاد الأصليين فأصبح عنصر التمايز بين الجميع هو " التقوى " فلا فرق بين عربي وأعجمي إلا بالتقوى. تلك هي القاعدة التي أرست مبدأ الأخوة والمحبة والعدالة بين الناس.

3- تحقيق الوحدة الإسلامية والوطنية واللغوية وإزالة الفرقة والتمزق الذي خلفه الاستعمار البيزنطي وما قبله وربط الوحدة السياسية في إطار الدين الإسلامي الجديد بالخلافة الإسلامية في المدينة المنورة أولا، ودمشق ثانيا، وبغداد ثالثا،

مميزات عصر الولاة

مميزاته :اتسم بخمسة مظاهر كبرى:

- تفشي الروح العصبية والعنصرية القبلية بين القبائل العربية.
- ينقسم عصر الولاة إلى مرحلتين هما: عصر الولاة الأمويين وعصر الولاة العباسيين.
- السياسة الإدارية السيئة لبعض الولاة الأمويين والعباسيين تجاه بلاد المغرب الإسلامي.
- انتشار المذهب الخارجي الصفري والإباضي بين القبائل المزابية.
- اندلا ع الثورات ضد ولاة السلطة المركزية الذي حكم بعضهم بالظلم والجور، الذي أدى ببعض المناطق من المغرب الأوسط والأقصى بالخروج عن إدارة الخلفاء وولاتهم بالمنطقة، ثم الانفصال التام والاستقلال عن الحكم العباسي المباشر.

.1التنظيم الإداري :كان والي المغرب يقود الجيوش ويقسم الغنائم بين المحاربين على قاعدة الأخماس ويعرف مرتبات الجيش من بيت مال المسلمين، ويعمل على نشر الدين الإسلامي. ويساعد الولاة في هذه الأعمال مجموعة من العمال وهم عامل الخراج والصدقات والقاضي وتوابعه من المفتيين والمقرئين والشهود.

.2التنظيم المالي :كان تنظيم المالية المطبقة بالمنطقة على العموم متشابهاً للتنظيم السائد في أقاليم الدول الإسلامية الأخرى مع بعض الاختلافات البسيطة، كأخذ الجزية غير النقدية من غير المسلمين كالمواشي. غير أن بعض الأحداث حدثت بسبب توقف الفتوحات وقلة الغنائم وفرض ضرائب على البربر عكرت من صفو وهدوء المنطقة عن طريق إعلان الثورة من طرف البربر ضد سياسة الولاة.

الدويلات المستقلة

الدولة الرستمية 160–296هـ / 777–909م.

تعتبر الدولة الرستمية أول دولة إسلامية بالمغرب الأوسط (الجزائر حالياً). عُرفت تاريخياً بالدولة الرستمية نسبة إلى عبد الرحمان بن رستم، كما جرت العادة في تسمية الدول الإسلامية في العصور الوسطى بأسماء آباء المؤسسين. وهي على مذهب الإباضة، ظهرت رسمياً سنة 160هـ / 777م بمدينة تيهرت واستمرت حوالي 136 سنة. سقطت على يد أبي عبد الله الشيعي سنة 296هـ / 909م.

.1نشأة الدولة الرستمية

ظهرت في إحدى الفترات الهامة من تاريخ العا لم الإسلامي عامة وبلاد المغرب الإسلامي على وجه الخصوص، خاصة وأن هذه المنطقة كانت مسرحاً للعديد من الأحداث السياسية، فبعدما انفصل المغرب عن المشرق انقسم المغرب الإسلامي نفسه إلى دول مستقلة منفصلة عن بعضها البعض. ففي خضم هذه الفترة بعد وصول الإباضية إلى المغرب استطاعوا أن ينشروا أفكارهم، ولما اشتعلت الحرب في المغرب الأدنى اعتصم عبد الرحمان بن رستم بجبل يعرف بجبل سوفجج في منطقة تيهرت هو وجماعته الذين اتبعوه فراراً من محمد بن الأشعث الخزاعي قائد جيوش العباسيين الموجهة إلى المغرب الأدنى، ولما وجدت هذه الفئة المكان المناسب قرروا بناء مدينة تأوي مذهبهم وطموحاتهم، فأسسوا مدينة تيهرت وبويع عبد الرحمان بن رستم إماماً لأول دولة إسلامية متمثلة بالمغرب الأوسط (المذهب الرسمي كان الإباضي.(

.2الحدود الجغرافية للدولة الرستمية

لم تعرف الدولة الرستمية حدوداً ثابتة فقد كانت تتسع وتتقلص بين الحين والآخر، أما أقصى حد بلغته خاصة في عهد الأئمة الثلاثة الأوائل، إذ كانت الدولة تضم كافة المغرب الأوسط وأجزاء من المغرب الأدنى حيث كان يحدها شرقاً سيرت ودولة الأغالبة، وغرباً تلمسان ونهر ملوية. وكانت أشهر مدنها تيهرت العاصمة، الشلف، الغدير، الخضراء، وهران.

.3نظام الحكم والأوضاع السياسية

كان نظام الحكم الإمامة القائم على الشورى هو السائد في الدولة الرستمية وهو في الحقيقة نظام شبه وراثي لتوالي أبناء وأحفاد المؤسس بن رستم على الحكم، عدا آخر إمامين. إن ما ميز الأوضاع السياسية في هذه البلاد النشاط والاستقرار والاضطراب في آن واحد، واشتهرت هذه الدولة بنظام الشورى، وبعدالة أئمتها وصلاحهم وتقواهم، فعملوا على ازدهار بلادهم التي كان يعيش في كنفها أتباع كل المذاهب الإسلامية، الذين كانوا يمارسون عبادتهم دون أية مشاكل أو تضييق بكل حرية وأمان. كما تخلل تلك الفترة ثورات وحروب وفتن، وأدى التنافس على الحكم بين أفراد الأسرة الحاكمة وانقسام أتباع المذهب الإباضي إلى سقوط الدولة بسهولة في يد أعدائها.

.4الحياة الفكرية في الدولة الرستمية

كان للرستميين دور بارز في الحياة الفكرية بالمغرب الأوسط، على وجه الخصوص وبلدان شمال إفريقيا فكان اهتمام هذه الدولة بذلك تبلور في إنشاء المكتبات العلمية الزاخرة بمختلف فنون العلم والآثار، ومن مكتباتها المشهورة نجد **مكتبة المعصومة بتيهرت** التي كانت تحتوي الآلاف من المجلدات والكتب وقدر عددها أحد الباحثين بحوالي 300 ألف مجلد. وهي كتب متنوعة منها كتب في علم الشريعة وكتب التفسير والحديث والفقه والتوحيد، كما ضمت كتب الطب والهندسة والرياضيات والفلك والتاريخ واللغة وغيرها من العلوم المختلفة ولم تكن تلك الكتب تخص المذهب الإباضي فقط بل تحتوي على كل تخصص كل المذاهب الإسلامية. ومن أشهر المكتبات الأخرى نجد **خزانة نفوسة** التي تجمع رفوفها آلاف الكتب.

الدولة الفاطمية النشأة والتطور والانتقال إلى مصر (297) – 362هـ / 909–973م سنة الانتقال إلى مصر السقوط: 567هـ / 1171م

تمهيد:

تعد الدولة الفاطمية نموذجاً من الدويلات المستقلة عن الخلافة العباسية، والتي كانت نتاج دعوة علوية. وكانوا عُرفوا أيضاً بالإسماعيلية والشيعة الباطنية، ولكنهم كانوا يفضلون تسمية العلويين أو الفاطميين (نسبة إلى فاطمة)، كما عُرفوا أيضاً بالعبيديين نسبة إلى عبيد الله المهدي.

.1التعريف بالدولة الفاطمية

الدولة الفاطمية توصف بأنها أنموذج واضح للدولة المذهبية في التاريخ الإسلامي، فهي دولة شيعية قامت على أساس انتسابها إلى الرسول صلى الله عليه وسلم عن طريق علي بن أبي طالب رضي الله عنه وفاطمة الزهراء رضي الله عنها، يترأسها الإمام الذي يحكم كمرشد ديني وروحي وصاحب السلطة المستمدة من الله ولها مذهب خاص هو المذهب الإسماعيلي نسبة إلى إسماعيل بن جعفر الصادق، وتوصف بأنها الخلافة الشيعية الوحيدة في الإسلام.

.2مراحل نشأة الدولة الفاطمية

يقسم المؤرخون التاريخ الفاطمي إلى مرحلتين:

المرحلة الأولى: مرحلة تطور الدولة في المغرب الإسلامي والتي دامت حسب المؤرخين حوالي 60 سنة من إنشاء الحكم الفاطمي في شمال إفريقيا 297هـ/ 909م، حتى الفتح الفاطمي لمصر سنة 357هـ / 969م وتحول مقر الخلافة إلى هناك سنة 362هـ / 973م. وبالحديث عن المرحلة الأولى نجد بأن الأئمة الإسماعيليين كانوا قد بذلوا جهوداً مضنية في سبيل نشر دعوتهم في الكثير من البلدان فوجدوا بلاد المغرب الإسلامي المكان المناسب، ونتج عن ذلك قيام الخلافة الفاطمية هناك أواخر القرن 3هـ، وقد سعت الفرق الشيعية عن طريق شبكة دعاتها وكان أبرزهم عبيد الله المهدي للسيطرة فكرياً وروحياً ومذهبياً على المسلمين في بلاد المغرب الإسلامي، ومن خلاله تمكنوا من تأسيس الدولة الفاطمية كان عبيد الله أول أئمة الدولة.

المرحلة الثانية: والتي دامت ما يقارب 120 سنة من 362هـ / 973م حتى حكم الخليفة العاضد 555-567هـ / 1160-1171م.

إن ما يهمنا هنا هو استعراض تاريخ الدولة في شمال إفريقيا على وجه العموم والجزائر خصوصاً، وإن تم الإشارة إلى انتقالها إلى مصر على يد المعز لدين الله الفاطمي الذي تمكن بسياسته الذكية من التوسع شرقاً لإدراكه بعدم صلاحية المنطقة لتكون مركزاً لدولتهم لبعدها عن المراكز الإسلامية الأخرى كمكة، المدينة، دمشق فاستقر الخيار على مصر لقربها منهم فتمكنوا من السيطرة عليها ونقلوا عاصمة دولتهم إلى القاهرة. ليبدأ العهد الثاني (المرحلة الثانية) من أطوار الدولة الفاطمية.

.3انتقال العبيديون إلى مصر المشرق الإسلامي

جعل العبيديون من بلاد المغرب منطلقاً لبناء دولتهم ولكن كان هدفهم الأسمى هو الانتقال إلى بلاد المشرق لمقاومة العباسيين والقضاء على دولتهم والاستيلاء على الحرمين الشريفين، فكانت لحكام الدولة العبيدية العديد من المحاولات للاستيلاء على مصر وقد تكللت محاولاتهم بالنجاح في عهد إمامهم الرابع المعز لدين الله الذي أرسل جيشاً ضخماً بقيادة جوهر الصقلي من المغرب إلى مصر يوم السبت 14 ربيع الأول سنة 358هـ / 969م، وقد تمكن هذا الجيش من الاستيلاء على مصر مستغلاً الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية المتردية فيها بعد موت حاكمها "كافور الإخشيدي" سنة 355هـ / 966م. وقد انتقل المعز لدين الله العبيدي إلى مصر بعد أربع سنوات من الاستيلاء عليها أي في سنة 362هـ / 973م، واتخذ من القاهرة عاصمة لدولته، وترك في بلاد المغرب الزيريين حكاماً عليها، وقد عمرت دولتهم في المشرق الإسلامي حوالي قرنين من الزمان حيث سقطت سنة 567هـ / 1171م بقيادة صلاح الدين الأيوبي.

.4الحياة الاجتماعية والثقافية

اهتم الفاطميون بالحياة الاجتماعية التي امتازت بالبذخ والترف قل أن نجد مثيلاً لهذا العصر في العصور الإسلامية التي مرت على المنطقة، حيث اهتم الفاطميون بالاحتفال بالأعياد الدينية كما اهتموا بالجوانب الثقافية. فعملوا على نشر الثقافة العلمية والأدبية التي تتصل بالمذهب الإسماعيلي كالفقه والتفسير وقد بلغ الثراء المعرفي غايته.

الدولة الحمادية 398-547هـ /1007-1152م

.1قيام الدولة الحمادية

ظهرت الدولة الحمادية إلى الوجود أواخر القرن الرابع الهجري تحديداً سنة 398هـ / 1008م، وكان مؤسسها حماد بن بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي الأمازيغي الذي اتخذ من **قلعة بني حماد**)قلعة أبي طويل) التي تقع فوق سفح جبل تقربوست بولاية المسيلة حالياً عاصمة لدولته الناشئة. وقد شُيدت هذه القلعة على منحدر وعر فوق سفح جبل تقربوست على الحدود الشمالية لسهل الحضنة وعلى مسافة ثلاثة وثلاثون كيلومتراً من ولاية المسيلة وبالتحديد ببلدية المعاضيد دائرة أولاد دراج حالياً، وغير بعيدة كثيراً من ولاية برج بوعريريج ومدينة برج غدير التي سبقت بناء القلعة حيث ترجع إلى العهد الروماني ويحد القلعة شرقاً واد فرج الذي يجري من الشمال إلى الجنوب وعرف باسم وادي جراوة في العهد الحمادي، ويحدها غرباً قمة الغورين الشاهقة 1190) متر) التي لا يفصل بينهما وبين جبل الرحمة سوى مضيق ومن الجنوب يحدها طريق كثير التعاريج يساير وادي فرج.

.2تطورها

وفي مدة قصيرة بلغت حوالي عامين أتم حماد بن بلكين بناء القلعة، فلم يأت رأس السنة الرابعة للهجرة حتى كانت الشوارع مكتظة والمساجد زاخرة والفنادق عامرة حيث رحل إليها من الثغور والقاصية والبلاد البعيدة أرباب الصناعة والتجارة وأهل العلم والطلبة، وظل حماد بن بلكين يفتح الحصون والقرى ويضمها إلى ولايته. وقد ذكر المؤرخون العديد من الأسباب التي جعلت حماد بن بلكين يشيد القلعة ويتخلى تدريجياً عن مدينة أشير التي جعلها أبناء عمومته الزيريون والياً عليها بعد انتقالهم إلى عاصمة العبيديين

(الفاطميين) في بلاد المغرب المهدية، ومن أهم هذه الأسباب الموقع الإستراتيجي والعسكري للقلعة حيث شكلت حصناً منيعاً للحماديين عندما اشتدت بهم الخطوب، لأن أشير التي كانوا يقيمون بها أصبحت غير صالحة نتيجة لقربها من مضارب قبائل زناتة التي كانت دائماً تهدد ملكهم بالسقوط، كما أن القلعة تتميز بالحصانة الطبيعية لأنه لا يوجد أي منفذ يصل إليها إلا من جهة واحدة يمكن مراقبته بكل سهولة، بالإضافة إلى سهولة مراقبة المدن التابعة لملك حماد بن بلكين مثل قسنطينة المسيلة سوق حمزة، أشير، بسكرة وغيرها وهذا نتيجة وقوع القلعة وسط هذه المدن، كما أن القلعة تقع في منطقة تتميز بكثرة تحركات القبائل الرُحل الذين يقومون بالتنقل بين الواحات الصحراوية وبذلك يكون التحكم في تحركات هذه القبائل سهل. وهناك سبب آخر يمكن إدراجه يكمن في رغبة حماد بن بلكين في إقامة دولة مستقلة عن الدولة الزيرية في تونس وهذا عن طريق إنشاء مدينة جديدة يتخذها عاصمة لدولته. وقد اعتمد الحماديون كغيرهم النظام الوراثي حيث كان الحكم في نسل حماد بن بلكين، وفيما يخص الجانب المذهبي فقد كانوا في بداية الأمر على المذهب الشيعي في عهد حماد، ثم بعد إعلان انفصاله وقيام دولته بدأ بالتوجه نحو المذهب المالكي وتم بصفة قطعية في عهد ولده القائد، كما تخلى عن مصر الفاطمية وأعلن الولاء للعباسيين في بغداد. وتجدر الإشارة إلى أن الدولة الحمادية عمرت حوالي قرن ونصف القرن حيث كانت **قلعة بني حماد** العاصمة الأولى لهم لأكثر من نصف قرن بالتقريب حوالي ثلاثة وستون سنة وتعتبر مرحلة تأسيس للدولة، ثم نقلت لـ **بجاية** فكانت العاصمة الثانية لهم في حدود سنة 461هـ/ 1069م وعمرت دولتهم حوالي قرن من الزمن وتعتبر هذه المرحلة هي مرحلة التقدم والازدهار والرقي في جميع المجالات، وقد سقطت الدولة على يد الموحدين بقيادة أميرهم عبد المؤمن بن علي الكومي الذي استولى على عاصمتهم بجاية بعد عدة معارك عام 547هـ/1152م.

.3أسباب انتقال الحماديين من القلعة إلى بجاية

اختلف المؤرخون في تحديد تاريخ انتقال الحماديين من القلعة إلى بجاية وعن سبب انتقالهم ومن قام ببناء بجاية، حيث يرى كل من الحموي وابن الأثير والذهبي بأن الناصر بن علناس هو من قام ببنائها سنة 457هـ / 1065م، وينفرد كل من الحموي وابن الأثير بذكر سبب بنائها حيث يرجعه هذا الأخير إلى نصيحة محمد بن البعبع رسول تميم بن المعز الزيري إلى الناصر بن علناس حيث أشار عليه ببناء بجاية والانتقال إليها لكي يقترب من إفريقية ويمتلك المهدية وغيرها من مدن أبناء عمومته الزيريين، في حين يرجعه الحموي إلى رغبة الناصر بن علناس في تحصيل الأمان للحماديين من كيد أعدائهم ولكي تعم الفائدة بأن تزدهر الصناعة في بجاية، بينما يرى ابن خلدون أن بناءها كان سنة 460هـ / 1068م وانتقال الناصر بن علناس إليها كان سنة 461هـ / 1069م في حين يرى صاحب الاستبصار في عجائب الأمصار بأن المنصور بن الناصر هو الذي بنى بجاية بعد وفاة والده الناصر سنة 481هـ / 1088م حينما ضيقت أعراب بني هلال وبني سليم وغيرهما على قلعة بني حماد وهددتها بالسقوط وسماها المنصورية، ويذكر الحميري الرأيين معاً حيث نسب بناء بجاية سنة 457هـ / 1065م إلى الناصر بن علناس الذي أطلق عليها اسم الناصرية، وذكر الرأي الآخر الذي ينسب فيه بناء بجاية إلى المنصور بن الناصر للتخلص من خطر أعراب بني هلال وبني سليم الذين هددوا القلعة بالسقوط وسماها المنصورية. ونرى بأن السبب الرئيسي في انتقال الناصر بن علناس من القلعة إلى بجاية هو التخلص من خطر الأعراب الذين هددوا القلعة بالسقوط، فعمل الناصر بنصيحة رسول تميم بن المعز محمد بن البعبع وانتقل إلى بجاية المحصنة طبيعياً من الأخطار الخارجية حيث يحيط بها البحر والجبال من كل الجهات ما عدا الجهة الغربية التي يمكن تحصينها بوضع جميع قوات الجيش لرد العدوان عليها.

.4العلاقات الخارجية

لم يكن حكام الدولة الحمادية يشعرون بولاء كبير نحو الفاطميين، بل كانوا يحسون رفقة أبناء عمومتهم الزيريون أنهم وحدهم الحقيقيون بزعامة بلاد المغرب، وقد شهد أول خروج رسمي علني ضد زعامة الخلافة الفاطمية وكان بطل هذا الخروج هو حماد بن

بلكين سنة 398هـ / 1008م، ولقد حرص الفاطميون على أن تعود بلاد المغرب إلى حظيرتهم فتراهم يسارعون عند أية بادرة إلى بذل الهدايا وتقديم الألقاب وقد حدث ذلك عدة مرات، ففي سنة 532هـ/1137م وصل مركب فاطمي رحل من الإسكندرية ببضائع عظيمة وهدية لصاحب بجاية يحي بن العزيز. وعن علاقتهم بأبناء عمومتهم المرابطين فقد كانت سلمية وغير عدائية إلى حد بعيد وعاشتا الدولتان الحمادية والمرابطية في أمن الطرفين على الحدود التي تملكها دولته باستثناء محاولة الأمير المرابطي يوسف بن تاشفين في بداية حكمه التوسع لتتخلص من قبائل زناتة التي لجأت لهذه البلاد وكانت تهدد الدولة المرابطية، وقد تصدى الحماديون لأطماعه فتراجع الأمير يوسف عن طموحه، وشغل المرابطون أنفسهم بالجهاد في الأندلس، بينما تفرغ الحماديون لمحاربة الأعراب في بلاد المغرب، وبذلك كان السلم والموادعة هي السمة التي غلبت على العلاقات بين الدولتين. وفيما يخص علاقة الحماديين بالأوروبيين (النصارى) فلم تظهر للعيان بشكل واضح وقوي إلا في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري وحتى نهاية الدولة الحمادية، وكانت على العموم طيبة مثالية، عكس علاقتهم بالدولة الزيرية التي كانت علاقة حرب وعداء. وقد أقام الناصر بن علناس علاقات ودية مع البابا جريجوري السابع ومدن الساحل الإيطالي، مُنحت للرعايا المسيحيين في المغرب الأوسط أماناً كاملاً، وحصل الأسرى المسيحيون على حريتهم بأن اشتراهم الناصر وأرسلهم هدية للبابا، وقد رد هذا الأخير سنة 469هـ / 1076م برسالة شكر وعرفان للناصر، وقد استمرت هذه العلاقات الودية بين الدولتين بعد الناصر.

الدولة المرابطية (المرابطين – دولة الملثمين) 448–541هـ / 1056–1147م

1. قيامها

ينتسب المرابطون إلى قبيلة صنهاجة الصحراء وقد عُرفوا أيضاً باسم الملثمين لارتدائهم اللثام في وجوههم، وقد قامت دولتهم على أساس دعوة دينية حيث بدأت بالظهور في أوائل القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) على يد رجال تحدوهم نزعة إصلاحية، أول هؤلاء الرجال يحي بن إبراهيم الجدالي الذي أراد إصلاح شؤون قبائل صنهاجة الصحراء التي كان أهلها لا يعرفون من تعاليم الإسلام إلا الشيء القليل، فتجهز لأداء فريضة الحج سنة 427هـ / 1036م وفي أثناء عودته منه لقي بالقيروان أبا عمران الفاسي شيخ المذهب المالكي فلزمه واستمع لدروسه وطلب منه أن يرسل إلى قومه تلميذاً يفقههم في الدين، فعرض الشيخ على تلاميذه الأمر فلم يقبل أحد منهم الذهاب معه لبعد الدار ومشقة السفر والانقطاع عن الأهل في الصحراء، فحمله رسالة إلى تلميذ له في سجلماسة هو وجاج بن زلو اللمطي فانتدب له وجاج تلميذاً تقياً من تلاميذه هو عبد الله بن ياسين الجزولي فارتحل هذا الأخير مع يحي بن إبراهيم الجدالي إلى مضارب قبائل صنهاجة الصحراء، وشرع في تعليم أهلها تعاليم الدين الإسلامي، وقد أنشأ لهذا الغرض رباطاً في مصب نهر السنغال، وعندما كثر أتباعه وبلغوا نحو ألف مريد شرع في غزو القبائل التي لم تذعن للإسلام بعد، وقد جعل من يحي بن إبراهيم الجدالي أميراً على المرابطين وعندما توفي في حدود سنة 440هـ / 1048م خلفه في زعامة المرابطين يحي بن عمر اللمتوني وعند وفاته سنة 447هـ / 1055م خلفه على زعامة المرابطين أخوه أبو بكر عمر اللمتوني الذي توسعت في عهده دولة المرابطين إلى شمال المغرب الأقصى. ولما وقع الخلاف بين قبيلتي لمتونة وجدالة في الصحراء عاد أبو بكر ابن عمر إلى هناك سنة 453هـ / 1061م للمحاولة الإصلاح بينهما، وقبل عودته جعل ابن عمه الأمير يوسف بن تاشفين اللمتوني خليفة له في شمال المغرب ولما عاد أبو بكر إلى الشمال وجد ابن عمه قد استأثر بالحكم فزهد فيه ورجع من جديد إلى الصحراء حيث قام بنشر الإسلام في بلاد الزنوج (السودان الغربي) إلى أن استشهد بها في إحدى غزواته بعد أن أصيب بسهم مسموم في شعبان سنة 480هـ / نوفمبر 1087م. وقد قام الأمير يوسف بن تاشفين حينما كان ابن عمه الأمير أبو بكر بن عمر في الصحراء ببناء مدينة مراكش سنة 454هـ / 1062م واتخذها عاصمة لدولته الناشئة، وقد عظمت دولة المرابطين في عهده مع مرور الزمن وتمكن يوسف من الاستيلاء على كامل بلاد المغرب الأقصى، والجزء الغربي من المغرب الأوسط، وأجزاء كبيرة من بلاد السودان الغربي وبلاد الأندلس. وقد حكم يوسف بن تاشفين حوالي نصف قرن من الزمن ويعتبر المؤسس الحقيقي لدولة

المرابطين وأقوى أمرائها على الإطلاق، وقد لقب نفسه **بأمير المسلمين وناصر الدين** وأعلن الولاء للخلافة العباسية في بغداد، واتبع المرابطون الحكم الوراثي حيث حكم بعد الأمير يوسف أولاده وأحفاده، وكان مذهب الدولة الرسمي هو **المذهب السني المالكي** الذي تعصب له المرابطون كثيراً ونبذوا باقي المذاهب. وبالنسبة لنهاية دولتهم فقد سقطت بصفة كاملة في بلاد المغرب والأندلس عام 541هـ / 1147م على يد الموحدين بقيادة الخليفة عبد المؤمن بن علي الكومي.

.2العلاقات الخارجية

كانت علاقة المرابطين **بالعباسيين في بغداد** علاقة ولاء وتبعية، حيث انضمت دولة المرابطين إلى الخلافة العباسية منذ عهد الأمير أبي بكر بن عمر ويوسف ابن تاشفين وقد أرسل الخليفة العباسي لهذا الأخير تقليداً واعترف بشرعية حكمه، فتلقب بلقب أمير المسلمين وناصر الدين، وقد وضع المرابطون أسماء الخلفاء العباسيين في السكة، ودعوا لهم في المنابر وبقيت العلاقات ودية حتى انقراض دولة المرابطين. أما علاقتهم **بالموحدين** فقد كانت علاقة حرب وعداء أيضاً، فمنذ ظهور ابن تومرت على مسرح الأحداث في مطلع القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) والموحدون يحاربون المرابطين بالنشاط الدعوي والسلاح وخاضوا معهم معارك عديدة في المغرب والأندلس إلى أن تم القضاء على دولتهم بصفة نهائية بقيادة عبد المؤمن بن علي الكومي وهذا في سنة 541هـ/1147م.

الدولة الموحدية (الموحدين) 524-667/ 1130-1269م.

.1)القيام والدعوة المهدوية

ينتسب محمد بن عبد الله المعروف بـ **ابن تومرت** المؤسس الفقهي للدولة الموحدية إلى قبيلة هزغة الأمازيغية وهي إحدى بطون قبيلة مصمودة الكبيرة، ولد في أواخر القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) ادعى النسب إلى آل البيت عن طريق الأدارسة (بيت علي بن أبي طالب رضي الله عنه) ولقب نفسه **بالمهدي والإمام المعصوم** ولكن المؤرخون والمحققون كشفوا كذب ادعاءاته، كان رجلاً فقيراً اهتم بالعلم وتحصيله فارتحل سنة 500هـ / 1106م إلى بلاد الأندلس ثم إلى بلاد المشرق الإسلامي ودرس عند أكبر العلماء هناك عاد إلى بلاد المغرب والتقى عبد المؤمن بن علي الكومي في قرية تاملالت (ملالة) في بجاية سنة 505هـ/1111م فقربه إليه كثيراً وجعله أكبر تلاميذه، وعاد معه إلى مراكش وشرع في تنظيم دعوته، حيث استقر في منطقة تينملل بالمغرب الأقصى وأظهر العداء الشديد لدولة المرابطين، وبنى رباطاً وكون جماعة سماها الموحدون، وأقام تنظيمه على أساس هرمي قمته ابن تومرت المدعي للعصمة والمهداوية، ثم تأتي جماعة **أصحاب العشرة** وهم أصحابه المقربين مثل عبد المؤمن بن علي الكومي والبشير الونشريسي، وأبو حفص عمر الهنتاني وغيرهم، ثم تأتي جماعة **الخمسين** وتضم رؤساء القبائل وشيوخها الكبار وفي قاعدة الهرم تأتي جماعة **السبعين** .وبدأ ابن تومرت نشاطه الدعوي في منطقة السوس حيث قام بنشر نفوذه في المنطقة، وتسلط على الناس بأعمال قبيحة وملفقة وهيمن على فكرهم ومشاعرهم حتى استعبدهم، وشرع بعد ذلك في حرب المرابطين حيث خاض عدة معارك معهم أخطرها **معركة البحيرة** سنة 524هـ / 1130م حيث زحف ابن تومرت وأتباعه على مراكش وفرض عليها الحصار أربعين يوماً ولكنه تعرض للهزيمة في آخر المطاف وقتل بعض قادته الكبار وجُرح هو جروحاً بليغة توفي متأثراً بها بعدها بأيام، وقد نجا في المعركة عبد المؤمن بن علي الكومي الذي بايعه الموحدون سراً سنة 524هـ / 1130م وعلناً في سنة 526.هـ /1132م.

.2نظامها

استمر عبد المؤمن في حرب المرابطين واستولى على مناطق كثيرة بالمغرب الأقصى وفرض الحصار على مراكش عدة شهور وفتحها سنة 541هـ / 1147م وقتل آخر أمراء المرابطين إبراهيم بن تاشفين ووضع حداً نهائياً لدولة المرابطين بالمغرب. وتمكن من القضاء على **الدولة الحمادية** في المغرب الأوسط والتي استولى على عاصمتها بجاية بعد عدة معارك سنة 547هـ / 1152م، كما قضى

على **النورمان** واستولى على **ممتلكات الدولة الزيرية** في المغرب الأدنى وعاصمتهم المهدية سنة 555هـ / 1160م وبذلك استولى الموحدون على كافة بلاد المغرب الإسلامي. وتمكنوا أيضاً من الاستيلاء على مدن **الأندلس** تباعاً والقضاء على دولة المرابطين والأمراء المتغلبين على بعض المدن بها ابتداءً من سنة 541هـ/1147م. اتبع الموحدون **النظام الوراثي** حيث كان الحكم في نسل الخليفة عبد المؤمن بن علي الكومي، وبالنسبة لمذهبهم فقد كان خليطاً من المذاهب فقد أخذوا بعض عقائد المعتزلة، وأخذوا من المذهب الأشعري في مجال الصفات، وأخذوا أيضاً من المذهب الشيعي إدعاء العصمة والمهداوية والإمامة، واستخدموا السلاح للوصول إلى الحكم على طريقة الخوارج، ومنعوا القياس والاجتهاد وباقي أصول الفقه واكتفوا بالقرآن والسنة وإجماع الصحابة.

بلغت الدولة الموحدية أوج عظمتها وقوتها في عهد الخليفة عبد المؤمن وولده يوسف وحفيده يعقوب المنصور، ومن صور قوتها مقارعتهم للنصارى الصليبيين في الأندلس، حيث قادوا معارك عديدة ضدهم وحققوا في أغلبها انتصارات مدوية مثل معركة **الأرك** سنة 591هـ/ 1195م بقيادة الخليفة يعقوب المنصور وغيرها، وتعرض الموحدون إلى بعض الهزائم القاسية من طرف النصارى منها **حصن العقاب** سنة 609هـ/1212م والتي كانت سبباً في تراجع دولة الموحدين وبداية النهاية في الأندلس والمغرب واستمرت في الضعف الشديد إلى أن سقطت نهائياً بسقوط عاصمتهم مراكش على يد المرينيين سنة 667هـ / 1269م، وقد انقسم المغرب على إثر ذلك إلى ثلاث دول هي **الحفصية** في المغرب الأدنى و**الزيانية** في المغرب الأوسط و**المرينية** في المغرب الأقصى، واستولى بنو نصر (بنو الأحمر) على الأندلس.

3. العلاقات الخارجية

أشرنا في المحاضرة السابقة بأن علاقة المرابطين بالموحدين كانت علاقة حرب وعداء، ونفس العلاقة ربطت الموحدين **بالزيريين في إفريقية** و**الحماديين في المغرب الأوسط**، فقد مر ابن تومرت المؤسس الفقهي للدولة الموحدية في حدود سنة 505هـ / 1111م على مدينة بجاية الحمادية وأظهر سخطه من الأوضاع الدينية والسياسية والاجتماعية السائدة آنذاك، وتجلى العداء الشديد بين الموحدين والدولتين الزيرية والحمادية في كون الموحدين بقيادة عبد المؤمن بن علي الكومي هم من أسقطا هاتين الدولتين فقد سقطت الدولة الحمادية في أيديهم سنة 547هـ/1152م، والدولة الزيرية سنة 555هـ/ 1160م.

الدولة الزيانية في المغرب الأوسط 633-961هـ/1235-1554م

1. القيام والنسب

ينتسب بنو عبد الواد أو الزيانيون إلى قبيلة **زنانة الأمازيغية** التي استقرت منذ أزمنة طويلة بالمنطقة الغربية من المغرب الأوسط (الجزائر حالياً)، وقد بدأ بنو عبد الواد في البروز في مسرح الأحداث التاريخية في بلاد المغرب في سنة 627هـ / 1230م حينما بدأ نجم الدولة الموحدية في الانهيار، حيث ظهر جابر بن يوسف بن محمد كزعيم لبني عبد الواد وقام بالتصدي ليحي بن غانية الميورقي حينما هاجم مدينة تلمسان وانتصر عليه وشتت شمله، فأعجب به الخليفة الموحدي المأمون وكتب له البيعة على تلمسان وسائر قبائل زنانة تكريماً له، فاضطلع بالأمر وكان ذلك بداية لقيام دولة بني عبد الواد التي تسلم قيادتها الأمير الشاب **يغمراسن بن زيان** سنة 633هـ / 1236م بعهد من الخليفة الموحدي الرشيد، وقد تميز يغمراسن بقوة العزيمة وحصافة الرأي وسداد التدبير، فاضطلع بالأمر في عزم وقوة وأخضع إلى سلطته كل الذين كانوا قد خرجوا عن طاعة أخيه أبي عزه زكرار بن زيان وأحسن السيرة في الناس تدبيراً وسياسة واعتنى بتنظيم قواته العسكرية وتوفير الأسلحة والذخيرة لها حتى تستطيع القيام بواجبها الدفاعي على البلاد. واستحدث مجلساً وزارياً وكتبة ليساعدوه على تسيير شؤون الإمارة، واتخذ لنفسه مظاهر الملك وألغى سيطرة الموحدين الفعلية ولم يبق لهم سوى عادة الدعوة للخليفة على المنابر أيام الجمع والأعياد. عمرت الدولة الزيانية أكثر من ثلاثة قرون، وحكمت الجزء الغربي من المغرب الأوسط واتخذت من **تلمسان** عاصمة لها، واتبعت النظام الوراثي حيث كان الحكم في نسل يغمراسن بن زيان وكانت حياتها كلها صراعاً مستميتاً وطويلاً ضد قوى متصارعة متطاحنة عليها، فالدولة المرينية من الغرب

والدولة الحفصية من الشرق تسعيان للمحاولة السيطرة عليها وإزالتها من الوجود وفي أواخر عمرها تعرضت للعدوان الإسباني على سواحلها، ثم تدخل الأتراك العثمانيون في النهاية الذين عزلوا آخر أمرائها عن الحكم **الحسن بن عبد الله الزياني** وبذلك تندثر دولة بني عبد الواد من الوجود سنة 961هـ / 1554م.

.2العلاقات الخارجية

كانت العلاقة بين الزيانيين **والمرينيين** في المغرب الأوسط عدائية، لم تشهد طيلة قيام الدولة المرينية في بلاد المغرب سوى فترات قليلة جداً من السلام، وفي أغلب الأحوال كان ذلك السلام مفروضاً على بني زيان فإن ما واتتهم الفرصة لنقضه سارعوا إلى ذلك وعادوا بالعلاقات إلى جو العداء، وقد بدأ العداء قبل قيام الدولة المرينية سنة 668هـ/ 1269م إثر تحالف الزيانيين مع الموحدين ضد المرينيين واستفحل الصراع بين الدولتين سنة 669هـ/1270م عندما حاصر المرينيون تلمسان وألحقوا أضراراً بالغة بنواحيها، ثم عادت الدولتان للصلح ولكن سرعان ما تم نقضه لما تحالف الزيانيون مع بني الأحمر في الأندلس ضد المرينيين. كما تفاقم العداء أكثر فأكثر بين الدولتين في سنة 737هـ / 1336م حينما قام السلطان أبو الحسن المريني بغزو شامل للمغرب الأوسط وتمكن من احتلال تلمسان وقتل السلطان أبي تاشفين وتلاشت دولتهم وأصبح المغرب الأوسط إقليماً من أقاليم الدولة المرينية، ثم أعاد الزيانيون إحياء دولتهم سنة 749هـ / 1348م باستيلائهم على تلمسان بعد مبايعتهم لعثمان بن عبد الرحمان بن يحي بن يغمراسن، واستمر بعد ذلك الوضع على حاله حيث استمر العداء بين الدولتين ولكن تتخله فترات من السلم والموادعة، وبعد وفاة السلطان المريني أبي عنان ظل الزيانيون على أعدائهم لبني مرين حتى سقوط الدولة الزيانية. أما علاقة الزيانيين **ببني نصر (بنو الأحمر) في الأندلس** فقد كانت علاقة حسنة، وتوثقت العلاقة بينهما في جميع المجالات من سياسية وثقافية واقتصادية، ففي الجانب السياسي شهدت العلاقة جوانب متعددة منها لجوء الدولة الزيانية إلى دعم الأندلس، ودعم بنو الأحمر للسلطان أبا حمو موسى الثاني سياسياً وعسكرياً، وبالمقابل دعم الزيانيون أيضاً بني الأحمر في حروبهم ضد النصارى الصليبيين وكانت المساعدة على شكل أحمال من الذهب والفضة والخيل المسومة والمراكب المشحونة بالزرع، كما سمحت للأفراد على شكل جماعات الذهاب إلى الأندلس بدافع الجهاد في سبيل الله، وتوثقت أيضاً العلاقة بتبادل الهدايا والتهاني بين زعماء الدولتين، وباستقبال الدولة الزيانية سكان الأندلس المهاجرين في مدن وسواحل المغرب الأوسط، منهم من شغل مناصب مهمة في الدولة كالوزارة والحجابة وخاصة في عهد السلطان أبي حمو موسى الأول، ومنهم العلماء الذين تولوا مهام التدريس في مساجد ومدارس تلمسان وغيرها من المدن الزيانية، وتوثقت أيضاً العلاقة الاقتصادية بين الدولتين فكانت الدولة الزيانية تمد المساعدة للمسلمين في الأندلس عند تعرضهم لبلاء أو مجاعة وتمدهم بالمال والغذاء، ففي سنة 763هـ / 1362م قدمت الدولة الزيانية لأهل الأندلس ما مقداره خمسين ألف قدح من الزرع وثلاثة آلاف دينار من الذهب. أما علاقة الزيانيين **بدولة المماليك في مصر** فقد كانت طيبة، فلم يمنع البعد الجغرافي بين مصر وتلمسان من قيام علاقات تنوعت بين الجانب السياسي والثقافي والاقتصادي ورابطة الحج على اعتبار أن مصر تقع على طريق حج المغاربة، وقد تبادل السلاطين الزيانيون والمماليك الرسائل والهدايا، فقد تبادل السلطان الزياني أبو تاشفين عبد الرحمان الأول الرسائل مع السلطان المملوكي الناصر سنة 725هـ / 1325م، وبعث السلطان أبو زيان سنة 799هـ / 1397م إلى السلطان المملوكي برقوق ثلاثون رأساً من الخيول العتاق، وذلك لما تمتاز به من الشدة والسرعة والصبر على المصاعب. كما قصد طلبة العلم التلمسانيون القاهرة لزيادة معارفهم العلمية، وهناك من عاد إلى وطنه وهناك من بقي في مصر للتدريس، حتى أن بعضهم تقلد مناصب في الدولة المملوكية، وفي الجانب الاقتصادي تبادلت الدولتان السلع عن طريق موانئ شرشال والجزائر وموانئ مصر وخاصة الإسكندرية.